
أنا
إسلام شمس الدين

الكتاب: أنـا

المؤلف : إسلام شمس الدين

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٠

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٢٦٢٦

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 019 - 5

الناشر

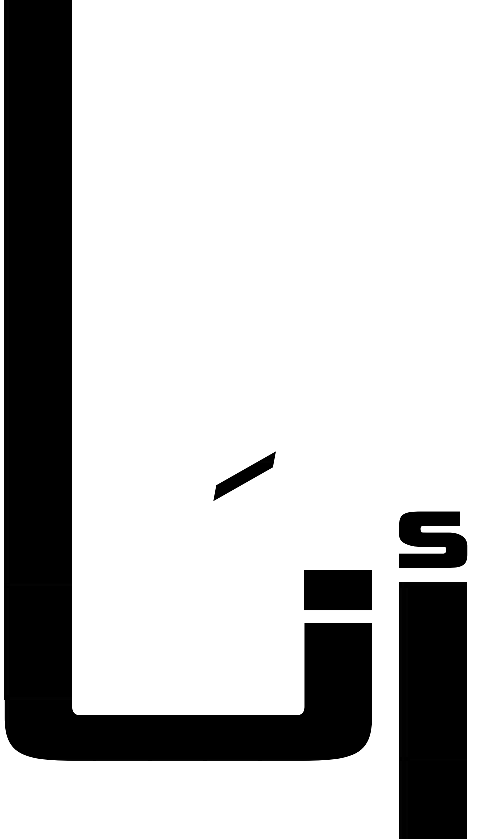
شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى ـ المقطم ـ القاهرة

ت/فاكس: ٥/٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٠٢) ـ ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٠٢)

www.shams-group.net

تصميم الغلاف: محمود ناجيه



إسلام شمس الدين





إِلَى إِسْلام شَمْس الدِّين..

المَوْجُوعُ حَرْفُهُ حَدَّ النَّزْف

مَا كُنْتُ مَلاكًا

وَلاَ شَيْطَانَا

وَلاَ حَمَلْتُ مِنْ اِسْمِي الكَثِيرْ

فِيْ بَعْضٌ مِنْ عِصْمَةِ الأَنْبِيَاءْ

وَطَهَارَةِ القِدِّيسِينْ

وَنَزَقِ الأَشْقِياءْ

وَدَنَاءَةِ البَشَرْ

هَذَا "أَنَـا"...

مُتَجَرِّدًا إِلاَّ مِّنِّي

خَطَايَايَ، خَطَايَايَ... لَسْتُ أُنْكِرُهَا

مَنْ شَاءَ يَلْعَنُنِي

أَوْ شَاءَ يَرْمِينِي بِحَجَرْ.

كُلُّ حَرْفٍ كَتَبْتُه؛

نُقِشَ ذَاتَ نَبْضٍ عَلَى جُدْرَانِ قَلْبِي

فَمَا أَدْرِي إِنْ كُنْتُ أَكْتُبُ الحَرْفَ

أَمْ أَنَّ الحَرْفَ يَكْتُبُنِي

اللَّهُ خَلَقَنِي مِنْ نُورٍ لأَعْبُدَه ..

وَمِنْ نـارٍ لأَعْبُدَنِي

أنَــا

(إليّ ...
في يوم مولدي)

إيهِ ...

يَا عُمْرِيَ المَجْرُورَ خَلْفَ قَاطِرَةِ الرَّحِيل

مَا زِلْتَ تَرْقُبُ

- مِنْ وَرَاءِ الغَيْمِ -

أَرْصِفَةَ الوُصُول

مَا زِلْتَ تُنْصِتُ،

وَالذِئَابُ تَعْوي

عَلَّ لَحْنًا مِنْ فَرَاغِ الكَوْنِ يَسْرِي

عَلَّ ضَوْءًا مِنْ كُهُوفِ اللَّيْلِ يَهْدِيَكَ السَّبِيل...

أَفَلَ الدَّلِيل

وَالسَّائِقُ المَعْصُوبُ أَثْمَلَهُ القَلَق

حَتَّى اخْتَنَق

مَا عَادَ يُجْدِيكَ التَلَصُّصُ قُرْبَ نَافِذَةِ الخَلاَص

الرِّيحُ تَصْرُخُ: لاَ مَنَاص

وَالأَرْضُ تَحْتَكَ لاَ تَدُور

غُمَّ المَسِير

هَا هُنَا يَقِفُ الطَّرِيقْ

أُفُقٌ يَضِيقْ

أَسْلِمْ جَبِينَكَ يَا غَرِيبُ إِلَى الهَرَبْ

كَفِّنْ رُفَاتَ الحُلْمِ بَيْنَ طَيَّاتِ الحَرِيقْ

اصْدَعْ ، فَرُوحٌ مِنْ وَرَائِكَ تُغْتَصَبْ

سَهْمٌ بِجَنْبِكَ قَدْ نَشِبْ.

لاَ تَنْتَحِبْ.

لاَ تَعْتَذِرْ.

فَالحُلْمُ ذَنْبٌ فِي الكَبَائِرِ يُسْتَطَرْ

إِنْ شِئْتَ فَاغْسِلْ بِالدُمُوعِ وَبِالنَّدَمْ

أَوْ بِالشَّرَرْ.

لَكِنَّهُ...

لَنْ يُغْتَفَرْ

لَنْ يُغْتَفَرْ.



إِيه...

يَا أَنَا..

يَا رَبِّيَ البَعِيد

ثَلاثُونَ تَحْرُثُ الأَسْفَلْتَ، ثُمَّ تَعْجَب:

كَيْفَ السَّواسِنُ فِي الوِلاَدَةِ تُحْتَضَرْ؟!

ثَلاثُونَ تُبْحِرُ دُونَ مِجْدَافٍ، وَتَعْجَب:

مَا لِلمَرَاكِبِ لاَ تَمَلُّ مِنْ السّفَر؟!

ثَلاثُونَ تَحْلُمُ بِالنَّهَارِ المُنْتَظرْ

يَأْتِيَكَ فِي كَفَّيهِ إِشْرَاقُ المِيلادْ

يَأْتِيكَ يَخْرُجُ مِنْ عَبَاءةِ شَهْرَزادْ

يحْكِي الحَكَايَا المُرَجَأةْ

مُنْذُ الصِّبَا.

مُنْذُ الصِّبَا...

لاَ حِضْنَ - حِينَ الحُزْنِ -

يَسْتُرُ خَدَّكَ.

لاَ صَوْتَ - حِينَ الصَّمْتِ -

أَذَّنَ فِي الَموَات.

الدَّيكُ مَات

وَالرَّاوِيَ الَمفْجُوعُ يَصْدَحُ بِالخَبَر:

الدَّيكُ مَات

وَاللَّيْلُ خَمْر

اللَّيْلُ خَمْر.

فَامْلأ كُؤُوسَكَ يَا نَزِيفُ إِلَى السَّحَر

اِشْرَبْ..

فَخَمْرُ الجُرْحِ بُرْءُ الأُمْنِيات.



إِيه...

يَا أَنَا..

يَا سِجْنَيَ الكَبِيرْ

أَوْصَدَ السَّجَّانُ أَبْوابَ المَطَرْ

فَاسْتَبق العَطَشْ

يَا ظَامِئًا حَدَّ التَصَحُّرِ تَحْتَ أَقْدَامِ الحَذَرْ

اِضَرِبْ بِرُوحِكَ هَذَا الصَّخَرَ

أَوْ ذَاكَ الحَجَرْ

لَكِنَّمَا...

لاَ تَنْتَظِرْ

فَالجَدْبُ مِثْلُ المَوْتِ

لُغَةٌ لِلقَدَرْ

لاَ تُخْتَصَرْ.



لِلعِشْقِ جَنَاحَانْ ؛

أَحَدُهُمَا فِيهِ رَائِحَةُ الحَيَاة ،

وَالآخَرُ فِيهِ طَعْمُ المَوْت

إلَيْكَ قَيْس

هَلْ اِسْتَرَاح؟

ذَاكَ المُسَافِرُ خَلْفَ أَطْيَافِ الصَبَاح

تُنْكِرُهُ السِّكَك

الطَّيْرُ تَنْقُرُ حَبَّهُ

العِيْرُ تَلْفِظُ رَحْلَهُ

الشَّمْسُ فِي عَيْنَيْهِ تُسْبَى، فَتُسْتَبَاح

أَغْوتْهَا السَّحَابَةُ الحَمْرَاء

حِيْنَ أَغْوَاهُ النَّدَى

فَارْتَدَّ يَخْفُقُ فِي الشِّعَاب

يَجْتَرُّ إِبَرَ الشَّوْقِ كِسَرًا مِنْ لَهِيب

وَيَدُورُ يَسْأَلُ الرُعْيَانَ عِنْدَ المَشْرَبِ:

هَلْ مِنْ خَبَر؟

عَنْ بَيْتِ شِعْرٍ مُسْتَهَام

قَضّتْهُ أَنَّاتُ الجَرِيح

فَانْسَلَّ يَطْلُبُ عَجُزَهُ

خَلْفَ الدُّجَى

مِنْ دُونِ قِنْدِيلٍ يُضِيء

مِنْ دُونِ نَجْمٍ أَوْ قَمَر.

وَيَعُودُ يَسْأَلُ الرُعْيانَ عِنْدَ المَغْرِبِ

وَالرَّدُّ يَلْفَحُ وَجْهَهُ

لِلرَّمْلِ بَاحَ بِسِرِّهِ

يَا رَمْلُ عَطْفًا بِالبَّلِيِّ المُبْتَلَى

إِذْ شُقَّ صَدْرُهُ بِالحَنِين

فَابْتَلَّ خَدُّكَ بِالرُّضَاب

هُوَ مُسْتَجِير

فَأَجِرْهُ تُؤْجَر بِالرَّوَاء

حِينَ المَسَاء

أَوْ حِينَ تَذْرُوهُ الرِّيَاح.

فهَلْ اِسْتَرَاح؟



هَلْ اِسْتَرَاح؟

الفَارِسُ المَوْسُومُ كُلُهُ بِالنُدُوب

يَأبَى الهَرَب

وَالسَاحُ شَطَّتْ بِالحَرِيق

وَالعِشْقُ سَيْفٌ لاَ يُفلّ

نَصْلٌ مُصِيب.

وَيْحَ العَنِيد

لاَ زَالَ يُشْهِرُ فِي المَدَامِعِ شَوْقَهُ

رَغْمَ النَزِيف

رَغْمَ انْهِزَامِ الحُلْمِ تَحْتَ أَظْفَارِ السَّرَاب

اللَّيْلُ تُرْسُهُ وَالقَصِيد

وَالصُبْحُ يُقْذفُ بِالضَّبَاب

وَيْحَ الكَمِيْد

يَشْتَالُ قَلْبَهُ بِالأَكُفِّ المُرْعَشَة

يُدْلِيهِ جُبَّ النَائِحَات

وَيَرُوغُ حَتْفَ الأُمْنِيات:

أَيَّا عِشْقُ هَاكَ قَبْرِي المُسْتَدَام

رَوْضُ النَّعِيم

أَوْ شِئْتَ جَمْرٌ مُتَّقِد

فَانْفِثْ سِهَامَكَ فِي الضُلُوعِ المُرْهَقَة

اِغْرِسْ حِرَابَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الذَبِيح

كَيْ يَستَرِيح.

فهَلْ اِسْتَرَاح؟

الأَفْكَارُ الشَّفَّافَة ..

سَهْلَةُ الكَسْرِ !

رِسَالَةٌ مِنْ صَدِيقَةَ

كَتَبَتْ لِي صَدِيقَتِي تَسْأَلُنِي عَنِّي؛ عَنْ ذَاكَ الذِي كَانَ شَمْسًا دَافِئَةً تَتَسَلَّلُ أَشِعَّتُهَا الفِضَّيةُ كُلَّ صَبَاحٍ؛ فَتُهَامِسُ القُلُوبَ، وتُرَاقِصُ المَشَاعِرَ، وَتَسْكُبُ فِي النُّفُوسِ رَحِيقَ البَهْجَةِ وَالجَمَال.. لِمَ احْتَجَبَتْ اليَوْمَ خَلْفَ غَيْمَاتِ الوَجْدِ، وَضَبَابَاتِ الأَسَى، وَكَيْفَ دَهِمَتْهَا حُلْكَةُ الحُزْنِ فِي سَاعَاتِ الضُّحَى.

تَسْأَلُنِي صَدِيقَتِي - وَالبَرَاءَةُ تَنْسَابُ عَبْرَ حَفِيفِ حُرُوفِهَا - عَنْ ذَاكَ الذِي يَنْحَدِرُ مِنْ سُلالَةِ "الرُومَانْسِيين"؛ ذَاكَ الذِي كَانَ يَسْكُنُ السَّحَابَةَ المُجَاوِرَةَ لِلقَمَرِ، وَيَتَحَدَّثُ لُغْةَ الفَرَاشَاتِ، وَيتَنَسَّمُ عَبَقَ الرَّيْحَانِ، وَيَطْعَمُ أَوْرَاقَ الفُلِّ، وَيَشْرِبُ مِنْ بَحْرِ الشِّعْرِ، وَيُسَامِرُ الكَنَارِيَّ فِي المَسَاءَاتِ المُمْطِرَةِ، وَيَنَامُ آخِرَ اللَّيْلِ فِي الأَحْدَاقِ الخُضْرِ، وفِي الأَحْدَاقِ السُّودِ، وفِي الأَحْدَاقِ العَسَلِية..

كَيْفَ الآنَ اجْتَاحَتْهُ جَحَافِلُ "الوَاقِعيين"، وَكَيْفَ احْتَلَّتْ قَصْرَهُ البَلُّوري، وَسَكَنَتْ شُرْفَتَهُ المُطلَّةَ عَلَى بُحَيْرَاتِ النُّورِ، وَكَيْفَ غطَّى عُشْبُهَا اليَابِسُ بَسَاتِينَهُ المُزْهِرَة، وكَيْفَ أَقَامَتْ الحَواجِزَ وَنِقَاطَ التَّفْتِيشِ بَيْنَ أَوْرَاقِهِ لِمُصَادَرةِ الأَحْرُفِ المُلَوَّنَة.

لاَ تَكُفُّ صَدِيقَتِي الطَّيِّبةُ عَنْ مُلاحَقَتِي بِالأَسْئِلة، فَهِيَ تَسْألُ عَنْ عُصْفُورٍ صَغِيرٍ اسْمُهُ "الحُبّ"؛ كَانَ يَصْحَبُنِي كُلَّ مَسَاءٍ إِلَى المَرَاعِي القِرْمِزِيَة، وَيُغَنِّي مَعِي ذَاتَ الأُغْنِيَاتِ الكِلاسِيكِية، وَيَعْزِفُ مَعِي عَلَى ذَاتِ النَايَاتِ الصَّنَوْبَرِيَّة، نَغْتَسِلُ سَوِيًا فِي نَهْرِ المُوسِيقَى، وَنَتَنَشَّفُ بِقَصَائِدَ مِنْ حَرِيرٍ، وَنَتَسَابَقُ بَيْنَ شُجَيْرَاتِ الحُلْمِ النَائِمَةِ بِأَحْضَانِ مَدِينَتِنَا العُذْرِيّة...

فَمَنْ كَسَرَ للعُصْفُورِ جَنَاحَهُ الرَّقِيق، وَمَنْ قَطَعَ رِحْلَتَهُ الكَوْنِية، وَأَسْكَتَ شَدْوَهُ الصَدَّاحَ فِي زَوَايَا الأُفُقِ، وَمَنْ سَرَقَ رِيشَاتِهِ الزَّهْرِيةَ المُخَبَّأةَ بَيْنَ دَفَاتِرِي.

صَدِيقَتِي تَسْألُ أَيْضًا عَنْ حُقُولِ البَنَفْسَجِ التِي كُنْتُ أَزْرَعُهَا فِي جُزُرِ الشَّمْسِ، وَأَسْقِيهَا مِنْ مَاءِ النَهْرِ المُمْتَدِّ مَا بَيْنَ نَجْمَاتِ الحُبِّ وَمُحِيطَاتِ الأَمَلِ، وَأَبِيعُ زَهْرَاتِهَا كُلَّ رَبِيعٍ للعُشَّاقِ عِنْدَ نَاصِيةِ الكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ... لِمَ يَبِسَتْ الحُقُولُ، وَذَبَلَ البَنَفْسَجُ، وَجَفَّ النَهْرُ المُتَدَفِّقُ بِفَتِيتِ اليَاسَمِين.

فِـي كُـلِّ سَـطْرٍ مِـنْ رِسَـالَتِهَا؛ تَرْسُـمُ صَـدِيقَتِي عَلامَـةَ تَعَجُّـب، وَالعَدِيـدَ مِـنْ عَلامَـاتِ الاِسْـتِفْهَامِ، وَتَـزْعُمُ إِنَّنِـي عَلَّمتُهَـا أَشْـيَاءَ وَأَشْيَاء؛ نَقَشتُهَا فِي صَفَحَاتِ عُمْرِهَا البَيْضَاء، وَحفَرْتُهَا كَالوَشْـمِ عَلَى جُدْرَانِ قَلْبِهَا الأَخْضَر، وَزَيّنْتُ ضَفَائِرَهَا بِوُرُودِهَا النَاعِمَة.

تَقُولُ صَدِيقَتِي - وَهِيَ مُحِقّةٌ - إِنَّنِي الآنَ تَغَيَّرْتُ، مَا عُـدْتُ أَنَـا، وَإِنَّنِي أَفْتَقِدُنِي، مِثْلَمَا هِيَ تَفْتَقِدُنِي، وَتَنْتَظِرُ عَوْدَتِي إِليَّ، مِثْلَمَـا يَنْتَظِرُ العُشَّاقُ زُهُورَ البَنَفْسَجِ فِي فَصْلِ الرَبِيع.

تَخْتِمُ صَدِيقَتِي رِسَالَتَهَا بِزَفْرَةِ أَسَى؛ لاَ تَخْلُـو مِـنْ بَعْـضِ العِتَـابِ وَبَعْـضِ الشَّـجَنِ، وَالكَـثِيرِ مِـنْ الحَيْـرَةِ وَالدَّهْشَـةِ، وَتُـذَيِّلُهَا بِتَوْقِيعِهَا: "تِلْمِيذَتُكَ فِي مَدْرَسَةِ الحُبِّ وَالحُلْم".



صَغِيرَتِي، صَدِيقَتِي العَزِيزَةُ، أَيَّتُهَا التِلْمِيذَةُ...

فِيمَ الدَّهْشَةُ إِذَا مَا أَخْطَأَ المُعَلِّمُ ثُمَّ أَثَاب؟.. فِيمَ الدَّهْشَةُ إِذَا مَا اجْتَهَدَ فَأَدْرَكَ الصَّوَاب؟

بِمَاذَا أُجِيبُكِ صَغِيرَتِي، وَلَيْسَ لأَسْئِلَتِكِ مِنْ إِجَابَات؟.. فَيَا لَيْتَكِ لاَ تَسْأَلِينَهَا..

لاَ تَسْأَلِي عَنْ قَبِيلَةِ الرُومَانْسِيين... فَقَدْ أَفْنَاهَا الزَّمَانُ كَمَا أَفْنَى شُعُوبَ الهُنُودِ الحُمْر، وَمَنْ تَبقَّى مِنْهُم؛ يَخْتَبِئُ هُنَاكَ فِي كُهُوفِ العُزْلَةِ شَرِيدًا مَطْرُودًا مِنْ عَالَمِنَا الجَلِيدِي.

لاَ تَسْأَلِي عَنْ العُصْفُورِ الصَغِيرِ القَتِيلِ بِرَصَاصَاتِ الوَاقِعِ وَالظُّرُوفِ وَالزَّيْفِ وَالخِدَاع؛ فَهُوَ الآنَ يَرْقُدُ مَيْتًا فِي غُرْفَةِ الإِنْعَاشِ؛ تُحِيطُ بِهِ أَجْهِزَةُ الإِعَاشَةِ، لأَنَّ بَعْضَ الحَمْقَى المُكَابِرِينَ مِنَ الأَطِبَّاءِ يَقِفُونَ ضِدَّ الحَقِيقَةِ رَافِضِينَ إِعْلانَ مَوْتِه.

لاَ تَسْأَلِي عَنْ البَسَاتِينِ وَالحُقُولِ وَالوُرُود وَالعُطُورِ وَالأَمْطَارِ اللُّؤْلُؤِيةِ وَالنَجْمَاتِ الهَامِسَةِ وَالأُمْنِيَاتِ الحَالِمَةِ.. فَكُلُّهَا؛ كُلُّهَا؛ هَلْوسَاتُ شَاعِر؛ رَسَمَهَا عَلَى الأَوْرَاق، وَتَغَنَّى بِهَا عَلَى الأَوْرَاق، وَبَنَاهَا مَدِينَةً مِن الأَوْرَاق.. مُتَنَاسِيًا أَنَّ زَمَانَنَا الصَخْرِيَّ لاَ يَعْتَرِفُ بِشَّرْعِيةِ الأَوْرَاقِ، وَلاَ لُغَةِ الأَوْرَاقِ، وَلاَ مُدُنِ الأَوْرَاق.

فَأَحْرِقي - صَغيرَتي - كُلَّ أَوْرَاقِي؛ لاَ تَقْرَأينِـي، لاَ تَسْـمَعِينِي، لاَ تُصَدِّقِينِي، لاَ تُخَـاطِبِينِي ثَانِيـةً بِصِـيغَةِ "الأُسْـتَاذ"؛ فَقَـدْ كُنْـتُ مُعَلِّمًا فَاشِلاً، وَكَاتِبًا فَاشِـلاً، وَصَـدِيقًا فَاشِـلاً، وَعَاشِـقًا فَاشِـلاً.. عَلَّمتُكِ الدَّرْسَ الخَطَـأ مِـنَ الْمُقَـرَّرِ الخَطَـأ فِـي الحِصَّـةِ الخَطَـأ، وَتَـرَكْتُكِ وَحْدَكِ فِي لَجْنَةِ الامْتِحَان.

صَدِيقَتِي العَزِيـزَةُ..

هَا أَنَا الآنَ أَسْـتَجْمِعُ بَعْضًـا مِـنْ شَـجَاعَتِي، لأَعْتَـرِفَ بِخَطِيئَتِـي، لأُقِرَّ بِذَنْبِي وَأُعْلِـنَ تَـوْبَتِي.. وَأُقْسِـمُ بِـالأَلَمِ وَبِـالحُزْنِ وَبِـالجُرْحِ النَازِفِ فِي جَنبَاتِي؛ أَلاَّ أَعُـودَ ثَانِيـةً لِحَمَاقَـاتِي، وَأَنْ أَكُـفَّ عَـنْ تَرْوِيجِ تِلْكَ الْخُرَافَاتِ؛ عَنْ الحِلمِ المُمْكِنِ، وَالأَمَلِ الأَخْضَرِ، وَعَـنْ تَرْنِيمَةٍ لَذِيذَةٍ تُتْلى فِي الأَسَاطِيرِ؛ اِسْمُهَا "الحُبّ".

هَا أَنَا الآنَ أَغْتَسِلُ مِنْ أَحْلامِـي؛ أَتَوَضَّـأُ بِغُبَـارِ الـزَّمَنِ الحَجَـرِيِّ، وَأَتَطَهَّرُ مِنْ رِجْسِ الـوَرْدِ وَمِـنْ رِجْـسِ الشِّـعْرِ وَمِـنْ رِجْـسِ الحُـبِّ المَصْلُوبِ عَلَى أَسْوارِ الآلام.. أُصَلِّي فِي مِحْرَابِ "الوَاقِعِيَّة"؛ مُيَمِّمًـا وَجْهِيَّ شَطْرَ الوَاقِعِ وَالمَفْرُوضِ وَحَزْنِ الأَيَّام.

صَدِيقَتِي الصَّغِيرَةُ..

هَا أَنَا الآنَ أُقَدِّمُ إِلَيكِ اِعْتِذَارِي...

وَلِلوَاقِعِ القَسْرِي؛ قَدّمْتُ وَلائِي وَطَاعَتِي، وَأَعْلَنْتُ اِنكِسَارِي.

بِإِمْكَانِي إِعَادَةُ تَشْكِيلِ العَالَمِ مِنْ جَدِيد ..

طَالمَا كُنْتُ حُرًّا

الآلِهَةُ تَخْلَعُ الأَقْنِعَة

(وَجْهٌ أَوَّل)

"نَارسِيسُ" الطَّيِّبُ عَاشَ وَحِيدًا

اِخْتَزَلَ العَالَمَ فِي بُقْعَةِ ضَوْءٍ تَعْكِسُهَا المِرْآةُ الكَوْنِيّة

اِعْتَزَلَ القُبْحَ المُتَنَاسِلَ خَلْفَ شُقَاقِ الأَقْنِعَةِ الزَّيْتِيّة

اِعْتَكَفَ بِجَانِبِ نَهْرِ الوَجْدِ المَسْحُورْ

يَتَلَمَّسُ يَرَقَاتِ النُّورْ

يَتَبَتَّلُ فِي مِحْرَابِ الذَّاتْ

يَتْلُو مِنْ آيِ النَّرْجِس:

(أَلِفْ / نُونْ / أَلِفْ)

صَدَقَ النَّرْجِس.

"نَارسِيسُ" الطَّيِّبُ مَاتَ وَحِيدًا

اِرْتَشَفَ عَصِيرَ الرُّوحِ المَسْمُومِ بِأَخْلاطِ الأَحْلاَم

اِفْتَرَشَ العُشْبَ المُتَأَوِّهَ تَحْتَ حَوافِرِ خَيْلِ الصَّيدْ

حَلَّ القَيدْ

أَطْلَقَ لِلمَوْتِ تَبَارِيحَ الشَّوْق

أغْمَضَ أجْنِحَةَ العِشْق

رَتَّلَ مِنْ آيِ النَّرْجِس:

(أَلِفْ / نُونْ / أَلِفْ / يَاءْ)

صَدَقَ النَّرْجِس.

"نَارسِيسُ" الطَّيِّبُ رُفِعَ وَحِيدًا

حَيًّا فِي جَسَدِ النرْجِسةِ الْمَصْلُوبةِ عَطَشًا فَوْقَ النَهْرِ

تُنْشِدُ مِنْ آيَةِ نَارسِيس الكُبْرَى:

(العِشْقُ المَوْت)

شَهِدَ النَّرْجِس.

(وَجْهٌ ثَانٍ)

سِيزِيفْ...

الأَخْرَقُ سِيزِيفْ

فِي كُلِّ صَبَاحٍ يَسْجُدُ لِلآلِهَةِ الطِّينِيّة

يَذْبَحُ كُلَّ طُيُورِ الحُرِّيَّةِ قُرْبَانًا لِلصَّنَمِ الأَعْظَم

يَغْتَسِلُ بِعَرَقِ الذُّلِّ المُتَصَبِّبِ تَحْتَ العَرْشِ

يُحْكِمُ شَدَّ إِزَارَ خُضُوعِه

يَتَدَثَّرُ بِرِدَاءِ خُنُوعِه

يَخْرُجُ، تَتْبَعُهُ كِلابُ الرَّبِّ المَسْعُور

تَرْصُدُ خَطْوَه

تَنْهَشُ كَعْبَه

يَحْمِلُ صَخْرَتَهُ وَيَصْعَدُ جَرْيًا

يَنْسَلُّ إِزَارُه

يَتَضَاحَكُ نُدَمَاءُ الرَّبِّ وَأَعْوَانُه

يَهْبِطُ لَهَثًا

يَصْعَدُ لَهَثًا

يَهْبِطُ

يَصْعَدُ

يَهْبِطُ

حَتَّى آخِرِ قَطَرَاتِ اللَّيْل

فَيَعُودُ لِيَسْجُدَ حَمْدًا لِلرِّقِّ !

(وَجْهٌ ثَالِث)

أَفْرُودِيت...

تِلْكَ الغَانِيَةُ المَعْجُونَةُ بِرَمَادِ الشَّهْوَةْ

لَمْ تَأْكُلْ يَوْمًا نَثْرًا

لَمْ تَشْرَبْ أَبَدًا شِعْرًا

لَمْ تَلْعَقْ قَلَمًا أَوْ وَرَقَة

لَكِنَّ السَّهْمَ النَّافِذَ مِنْ قَوْسِ الخَصْرِ المُلْتَهِبِ

سَطَّرَ فَوْقَ جُلُودِ النُّقَّادِ أَهَازِيجَ الرَغْبَة

قَالَ الأَوَّل:

يَا شَاعِرةَ المَطَرِ المُنْهَمِرِ بِأَوْدِيةِ الحُلْمِ

قَالَ الآخَر:

يَا ذَاتَ الحَرْفِ المُتَوَضِّئِ أَلْقًا فِي نَهْرِ النَّغَمِ

قَالَ الحَاذِق:

يَا سِتَّ الشِّعْرِ وَسَيِّدَتَه

يَا رَبَّةَ أَرْبَابِ جُنُونِه

الشِّعْرُ بِكَفِّكِ مُخْتَلٌّ

مُعْتَلٌّ

نَشْوَانٌ،

يَتَرَاقَصُ قَدُّك بِعُيُونِه.

وَحْدَهُ ذَاكَ المَخْبُولُ "أَبُوللُو"...

يتَحسَّرُ فِي دَهْشَةَ:

هَلْ هَذَا شِعْر؟!

يَا لِلمِسْكِينِ الأَبْلَه...

يُؤْمِنُّ بِالشِعْرِ صَلاةً لِلرُّوح!.

(وَجْهٌ رَابِع)

القَدَاسَةُ وَالنِّخَاسَةُ جَارَتَان...

بَيْنَهُمَا جِدَارٌ رَقِيق

تُقِيمُهُ وَرَقَةُ تُوْت

نَزَعَهَا القِدِّيسُ "دِيُوكَاليون"

لِيَبْتَاعَ سَفِينَةَ نَجَاةٍ !.

(وَجْهٌ خَامِس)

"بِجْمَاليون"

العَاشِقُ الذَّكِيّ

زَهِدَ الحَيَاةَ الْمَسْكُونَةَ بِالمَوْت

وَعَشِقَ المَوْتَ الْمَسْكُونَ بِالحَيَاةِ !.


INR

مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ بَاعَ جَسَدَهُ بالتُّرَاب !

فِي أَحْضَانِ غَانِيَة

دَعِينِي لَكِ...

دَعِينِي اللَّيْلَةَ لكِ

سَأَخْلَعُ عَلَى أَعْتَابِكِ ذَاتِي

وَأَحُلُّ ضَفَائِرَ أَفْكَارِي

وَأَزْرَارَ لُغَاتِي

سَأَنْزَعُ خُمُرًا تُخْفِينِي

تَسْبِينِي

تَحْجُبُنِي عَنْ أقْرَبِ حَاجَاتي.

سَأَكْسرُ قَيْدًا أَرْهَقَنِي

أَرْهَقَنِي

أَدْمَانِي وأَثْقَلَ خُطُواتِي.

اللَّيْلَةَ أَدْخُلُ مِحْرَابَكِ

قَدَمًا قَدَما

نَدَمًا نَدَما

أَسْكُبُ فِي حِجْرِكِ أَنَّاتِي

وَأَحُطُّ حُمُولاً تُعْجِزُنِي

وَوَجَعًا يَعْبَثُ بِرُفَاتِي

أَتَرَجَّلُ مِنْ فَوْقِ جَوَادٍ

أَعْيَتْهُ الرِحْلُ

فَأَغْتَسِلُ ثَلاثًا..

وَأُقِيمُ صَلاَتِي.



لاَ تَنْدَهِشِي...

لاَ تَنْدَهِشِي لِعَوْدَتِي

فَالطِّفْلُ الْمُتَسلِّلُ خَلْفَ رِجَالِ الْقَرْيَةِ إِلَى بَاطِنِ الجَبَلِ

يُعِيدُهُ الحَنِينُ إلَى قِطْعَةِ حلْوَى

وَالفَتَى الْمُسَافِرُ خَلْفَ الفَرَاشَاتِ إِلَى مُرُوجِ الحُلْمِ

يُعِيدُهُ طَعْمُ القُبْلَةِ الأُولَى

وَالعَاشِقُ المَكْسُورُ شِرَاعُهُ فِي مُحِيطَاتِ الطُّهْرِ

يَرْسُو عِنْدَ أقْرَبِ مِينَاءٍ بِلا دَائِرَةٍ جُمْرُكِية

وَالفَارِسُ المَهْزُومُ غَدْرًا فِي سَاحَاتِ النُبْلِ

يَغْزِلُ مِنْ الأَسِرَّةِ الْمُلَوَّنةِ رَايَاتٍ لِلنَّصْر.



لاَ تَنْدَهِشِي...

إِذَا مَا اِكْتَشَفت أَنَّني أُجِيدُ التَسَكُّعَ فَوْقَ الأَرْصِفَةِ المُبَلَّلةِ

لَيْلَةَ الكرِيسْمَاس.

وَأَنَّني أُجِيدُ مُرَاقَصَةَ السَّاقِطَاتِ فِي الحَانَاتِ الرَّخِيصَة.

لاَ تَنْدَهِشِي...

إِذَا مَا اِكْتَشَفت أَنَّني بَارِعٌ جِدًّا فِي مُغَازَلَةِ النِّسَاء

وَالعَزْفِ عَلَى أَوْتَارِ الصَبْوِ

حَتَّى السَّاعَاتِ الأُولَى مِنَ الصَّبَاح

لاَ تَنْدَهِشِي...

فَأَنَا؛ يَا عَزِيزَتِي؛

أَنْهَكَنِي التَحْلِيقُ حَوْلَ القَمرِ عَلَى جَنَاحِيْ مَلاك

وَقَرَّرَتُ اللَّيْلَةَ النُزُول إِلَى أَرْضِ البَشَر.



اللَّيْلَةَ سَنَتَّخِذُ الجَسَدَ لُغَةً لِلحِوَار

فَأَنَا أَنفَقْتُ العُمْرَ فِي تَدْرِيسِ لُغَةِ الرُّوح

وَتَقْدِيسِ لُغَةِ الرُّوح

وَأَنَا أَعْلَنتُها شَرْعًا يُوَحِّدُ الأَدْيَان

وأَنَا أسَّسْتُهَا وَطَنًا يَزْرَعُ الرَّيْحَان

وَأَنَا مَنَحْتُهَا صُكُوكًا لِلمَغْفِرَةْ

وَبَذَرتُهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ مُقْمِرَةْ

وَأَنَا أَسْكَنْتُهَا الشِفَاهَ وَالقُلُوبَ وَالأَجْفَان

وَأَنَا اِكْتَشَفْتُ مُتَأَخِّرًا...

أَنْهَا لاَ تَمْنَحُ الدِّفْءَ لِلقُلُوبِ المُتَآكِلَة !



لاَ تَهْمِسِي... لاَ تَهْمِسِي

فَفِي الغَرْبِ يَا عَزِيزَتي

يَجْعَلُونَ يَوْمًا لِتَعْرِيَةِ الأَجْسَاد

وَفِي الشَّرَقِ يَنْتَهِكونَ جَهْرًا

حُرْمَةَ الأَعْيَاد

أَمَّا أَنَا...

فَقَدْ قَرَّرَتُ اللَّيْلَةَ أَنْ أُجَرِّبَ تَعْرِيَةَ الأَفْكَار!



قَليلٌ مِنْ العِطْرِ يَكْفِي

وَقَمِيصُكِ الشَّفَّاف

فَأَنَا أَكْرَهُ التَّزْيِينْ

وَأَكْرَهُ التَّجْمِيلْ

وَأَنَا أَكْرَهُ التَّزْيِيفَ والتَّمْثِيلْ

وَأَنَا أَكْرَهُ النِّسَاءَ يَتَبَدَّلْنَّ كَالفُصُول.



لاَ تُفْزَعِي... لاَ تُفْزَعِي

لاَ تَغُرَّنَّكِ الأَخَادِيدُ المَحْفُورَةُ فِي جُدْرَانِ القَلْب

أَوْ الشَّيْبُ المُتَنَاثِرُ فِي أَرْوقَةِ الرُّوح

فَشَيْخُوخَةُ الثَلاَثِينَ - صَغِيرتِي -

قَدْ تَقْتُلُ فِينَا الطُّفُولَة

وَقَدْ تَغْتَالُ بَرَاءةَ الحُلْمِ

وَزَهْوَ الشَّبَابِ

وَبَعْضًا

مِنْ طُمُوحَاتِ الرُّجُولَة

لَكِنَّها أَبَدًا...

لاَ تُصِيبُ الفُحُولَة !



تَرَفَّقِي...

تَرَفَّقِي بِالرَّأْسِ المُتْعَبِ

إِذْ تُرِيحِينَهُ عَلَى وَسَائِدَ صَدْرِكِ

فَالأَفْكَارُ الشَّفَّافَة..

سَهْلَةُ الكَسْر!



كِتَابَاتِي... كِتَابَاتِي

كُلُّهَا ؛

كُلُّهَا...

لاَ تُسَاوِي لَيْلَةَ جِنْسٍ وَاحِدَةْ

أَوْ ضَمَّةَ صَدْرٍ وَاحِدَةْ

أَوْ رَعْشَةَ شَبَقٍ وَاحِدَةْ

فَمَا لَكِ ولَهَا؟

فَأَنَا سَأَدْفَعُ لَكِ

- فِي كُلِّ لَيْلَةِ جِنْس -

نَصًّا جَدِيدًا !



لاَ تَخْجَلِي... لاَ تَخْجَلِي

فَنَحْنُ؛ يَا عَزِيزَتِي؛ شَبِيهَان

نَحْنُ؛ يَا عَزِيزَتِي؛ قَرِينَان

دَفَعْتِ الجَسَدَ طَوْعًا

وَدَفَعْتُ الذَّاتَ طَوْعًا

عَلَى طَرِيقِ الخَطِيئَةِ

أَضَعْتِ كُلَّ شَيْء

وَعَلَى طَرِيقِ الطُّهْرِ

أَخْسَرُ كُلَّ شَيْء

فَكِلاَنَا ؛ يَا عَزِيزَتِي؛

مَارَسَ العِهْرَ دُونَ مُقَابِل !



اللَّيْلُ سُوَيْعَاتُهُ تَمُرُّ سِرَاعا

لَكِنَّ الصُّبْحَ لاَ يَجِيء !



الحُبُّ لَيْسَ خَطِيئَة...

إِنَّهُ الصُّنْدُوقُ الذِي يَحْوِي الخَطَايَا كُلَّهَا

فَاحْذَرْ أَنْ تُغْوِيكَ "بَانَدُورَا" فَتُطْلِقَهَا

الخَطَايَا العَشْر

عِنْدَمَا أَحْبَبْتُكِ سَيِّدَتِي؛

اِقْتَرَفْتُ - عَنْ حَمَاقَةٍ مِنِّي - عَشَرَةَ أَخْطَاء:

١. كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِليكِ بِلُغَةِ الحَاءِ وَالبَاء، وَمَا انْتَبَهْتُ إِلَى أَنَّ لُغَتَكِ تَتَكَّونُ فَقَطْ مِنْ سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ حَرْفًا.

٢. لَمْ أُحْسِنْ اخْتِيارَ سُفَرَائي إِليكِ، فَبَعَثْتُ "أُمَّ كُلْثُومَ" وَ"عَبْدَ الحَلِيمِ" وَ"فَيْرُوزَ" وَ"نَجَاةَ"، فَتَكَلَّمُوا بِمَا لاَ تَأبَهِينَ بِهِ، وَدَعَوْكِ إِلَى غَيْرِ مَا تَتَطَلَّعِينَ إِليهِ، وَعَرَضُوا سِوَى مَا تَبْتَغِينْ.

٣. أَهْدَيتُكِ بَاقَةً مِنْ زُهُورِ الرُّوحِ، وَقِلادَةً مَشْغُولَةً مِنْ حُجَرَاتِ القَلْبِ، وَأَقْرَاطًا مِنْ المُوسِيقَى الكلاسِيكِية، وَلُغَةً مُغَلَّفَةً بِخُيوطٍ مِنْ غَمْغَمَاتِ النَوَارِس.. ووَهَبْتُكِ أَلْفَ قَصِيدَةٍ عَذْرَاء، طَهَّرْتُهَا مِنْ رِجْسِ الشِّعْرِ، وَأَكَاذِيبَ الشُّعَرَاء... وَعِنْدَمَا عَرَضْتُهَا فِي مَزَادٍ عَلَنِيٍ عَلَى رَصِيفِ القِطَارِ المُسَافِرِ إِلَى

مَدِينَتِك المَنْشُودَةِ، لَمْ تُسَاوِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِ فِنْجَانِ قَهْوَتِكِ فِي مَقْهَى رَخِيص.

٤. اتَّخَذْتُ لَكِ فِي النَّاحِيةِ المُقْمِرَةِ مِنَ القَلْبِ وَطَنًا وَمَسْكَنًا، وَرَفَعْتُ بُنْيَانَهُ فَوْقَ سَحَابَاتِ الجَوَى، وَشَيَّدْتُ طُوبَاتِه مِنْ طِينِ الصَّبَاح، وَطَلَيْتُ جُدْرَانَهُ بِنَدَاوةِ القَرَنْفُلِ، وَدَسَسْتُ بَيْنَ أَرْكَانِه دِفْءَ الانْتِشَاءِ، وَأَضَأتُ جَنَبَاتِه بِمَصَابِيحِ الأَمَلِ، وَزَيَّنْتُ شُرَفَهُ بِعُصْفُورِ الجَنَّةِ وَأَطْواقِ اليَاسَمِينِ، وَشَقَقْتُ فِي بَاحَتِه الخَلْفِيَّةِ بُحَيْرَةً مِنْ الأَمَانِيِّ العَذْبَةِ... وَمَا حَسَبْتُهُ أَصْغَرَ مِنْ أَنْ يَحْتَوِي أَحْلامَكِ، وَأَضْيقَ مِنْ أَنْ يَتَّسِعَ لِطُمُوحَاتِكِ، وَأَقْصَى مِنْ أَنْ يَصِلَكِ بِمُرِيدِيك.

٥. رَسَمْتُكِ لَوْحَةً مَائِيةً بِأَلْوَانِ الفَرَاشَاتِ، وَظَلَّلْتُ زَوَايَاهَا بِهَدْأَةِ البَحْرِ فِي مَسَاءٍ صَيْفِي، وَصَنَعْتُ لَهَا إِطَارًا مِنْ ذَهَبٍ رَبِيعِي... وَفَاتَنِي أَنَّكِ تُفَضِّلِينَ الدرَجَاتِ الرَّمَادِيَّةَ وَالمَسَاحِيقَ الضَّبَابِيَّةَ وَالمَعَاطِفَ الشَّتَوِيَّة، قَبْلَ أَنْ أَكْتَشِفَ أَنَّنِي كُنْتُ أَرْسُمُ قِنَاعًا لِمَلامِحَ لاَ تُشْبِهُك.

٦. اِصْطَحَبْتُك فِي رِحْلَةٍ اسْتِعْمَارِيَةٍ إِلَى غَيْمَةٍ رَهِيفَةٍ عَلَى السَّاحِلِ الفَيْرُوزِي مِّنَ السَّمَاءِ، دُونَ بِطَاقَةِ هُوَيَّةٍ، أَوْ تَأْشِيرَةِ دُخُولٍ، أَوْ تَذْكِرَةِ سَفَرٍ مَدْفُوعَة. وَرَشَوْتُ حُرَّاسَهَا بِلآلِئَ مِنْ العِشْقِ الخَالِصِ، فَفَتَّحَوا الأَبْوَابَ إِلَى كُلِّ اتِّجَاه... وَعِنْدَمَا أَخَذْتُ بِيَدَيْكِ لِلمُرُورِ عَبْرَ بَوَّابَةِ الدُّخُولِ؛ وَجَدْتُ جُذُورَكِ مَزْرُوعَةً فِي الحَارَةِ السُّفْلِيَّةِ مِّنَ المَدِينَةِ الطِّينيَّةِ عَلَى الدَّرْجِ المُنْحَدِرِ مِّنَ الأَرْض.

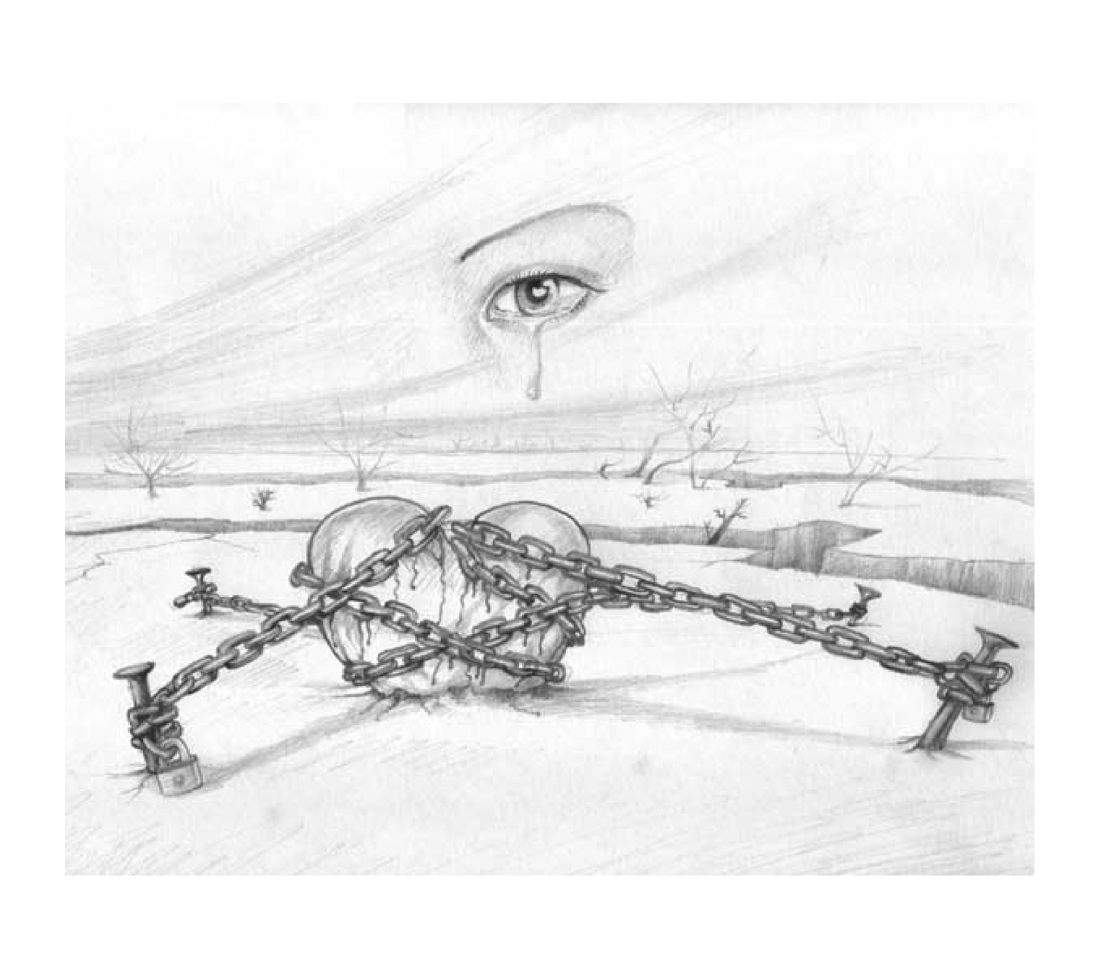
٧. أَعْدَمَتُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَالفُصُولَ الأَرْبَعَةَ، وَجَعَلْتُ اليَوْمَ لَوْنًا وَاحِدًا اسْتَوْحَيْتُهُ مِنْ ضَوْءِ عَيْنيكِ، وَالعَامَ فَصْلاً وَاحِدًا لَهُ رَائِحةُ عِطْرِكِ وَنَسَائِمُ إِطْلالتِك، وَالوَقْتَ وَحْدَةً وَاحِدَةً تَعْبَثِينَ بِدَقَائِقِهَا كَيْفَمَا تَشَائِين... وَمَا كُنْتُ سِوَى لَحْظَةٍ عَابِرَةٍ عَلَى مِيقَاتِ تَقْوِيمِكِ، وَسَحَابَةٍ شَارِدَةٍ عَلَى خَرِيطَةِ أَجْوَائِكِ، وَوَقْتٍ ضَائِعٍ يَشْغَلُ المِسَاحَةَ المُعْتِمَةَ مِنْ أَوْقَاتِ فَرَاغِك.

٨. طَلَّقْتُ نِسَاءَ الدُّنْيَا، وَاعْتَنَقْتُ الرَّهْبَانِيَّةَ فِي دَيْرِ الحُبِّ، وَبَايَعْتُكِ عَلَى مَمْلَكَتِي الصَّغِيرَةِ؛ المَلِكَ الأَوْحَدَ، وَالحَاكِمَ الأَوْحَدَ، وَالإِلَهَ الأَوْحَدَ... فَشَغَلَكِ عَنْهَا مَمَالِكُكِ المُمْتَدَّةُ عَبْرَ

المُـدُنِ العَشْـوَائِيَةِ وَالأَحْـرَاشِ المُوحِلَـةِ، وَقُطْعَـانُ مَوَالِيـكِ الطَّوَّافِينَ بِكَعْبَتِكِ النَّارِيَةِ فَوْقَ التِّلالِ الصَّفْرَاء.

٩. رَاجَعْتُ تَفْصِيلَ شَرَائِعِي، فَجَعَلْتُ الـجَنَّةَ فِي كُـلِّ مَـا يُقَرِّبُنِـي إِلَيْـكِ، وَالجَحِـيمَ فِـي كُـلِّ مَـا يُبْعِـدُنِي عَنْـكِ، وَالإِيمَـانَ فِـي انْحِنَاءاتِ الذَّاتِ عَلَى أَهْدَابِ كِبْرِيَائِكِ، وَالكُفْرَ فِي كلِّ قَصِيدَةٍ لاَ تَبْدَأُ بِاسْمِكِ... وَمَا عَرَفْتُ إِلاَّ مُتَـأَخِّرًا؛ أَنَّ جَنَّـاتِي إِنْ هِـي إِلاَّ قَبْرٌ خَرِبٌ فِي فَرَادِيسِ جَنَّاتِكِ.

١٠. دَعَوْتُكِ إِلَى اعْتِنَاقِ الحُبّ... فَاتَّخَذْتِهِ صَنَمًا مِّنَ العَجْـوَةِ، تَأْكُلِينَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ؛ مَا إِنْ تَنْقَضِي صَلَوَاتُه.



لَيْسَ عَيْبًا أَنْ نَبْكِي ..

إِنَّمَا لَمْ يَعُدْ مَا يَسْتَحِقُ أَنْ نَبْكِي لأَجْلِه

القِطَّةُ

"القِطَّةُ تَبْقَى قِطَّة"

... قَالَتْهَا الجَدَّةْ

لَكِنِّي لَمْ أَفْهَم.

أَسَّسْتُ لَهَا بَيْتًا

فِي رُكْنِ الدَّارِ المُتَّشِحَةِ دِفْءً

وَطَلَيْتُ حِيطَانَهُ بِالآسِ وَبِالنَّعْنَاعِ

وَحَبَّاتِ الصَّنْدَل.

فِي اللَّيْلِ تَسَلَّلْتُ إِلَى غُرْفَةِ أُمِّي

أَخْرَجْتُ لِحَافًا مَرْمِيًا تَحْتَ خِزَانَتِهَا

- كَيْ أَصْنَعَ لِلقِطَّةِ مَهْدًا -

مِنْ غُرْفَةِ جَدِّي سَرَقْتُ عَبَاءتَهُ المَزْوِيَة

- كَيْ أَرْفَعَ للقِطَّةِ سَقْفًا -

عَطَّرْتُ قَمِيصِي بِرَيْحَانَةِ شُرْفَتِنَا

عَلَّقْتُهُ سِتْرًا بِالبَابِ لِيَحْجُبَهَا

هَدْهَدْتُ القِطَّةَ فِي حِجْرِي، حَتَّى نَامَتْ

أَرْخَيْتُ السِتْرَ، وَنِمْتُ قُبَالَتَهَا.



الشَّمْسُ تُرَاوِدُ قَوْسَ الأُفُقِ بِحُمْرَتِهَا

تُوقِظُنِي الجَدَّةُ فِي رِفْقٍ

تَرْفَعُ حَاجِبَهَا الأَيْسَر

تَعْوِجُ شَفَتَيْهَا ، وَتَنْظُرُ لِلقِطَّةِ ، وَتُتَمْتِمُ

"هِي قِطَّة ...

وَالقِطَّةُ تَبْقَى قِطَّة"

لَكِنِّي لَمْ أَفْهَم.

أُمِّي تَجْلِدُنِي بِنَظَرَاتِ العَتْبِ

- هِي تَعْلَمُ مَا كَانَ بِأَمْسِي -

لاَ تَتَكَلَّم.

لاَ أَتَكَلَّم.

تَضَعُ اللَّبَنَ أَمَامِي لأَشْرَبَهُ

أَشْرَبُ نِصْفَه

أَسْكُبُ نِصْفَهُ فِي طَبَقٍ

وَأَدُسُّهُ لِلقِطَّةِ، تَلْعَقُهُ بِنَهَمٍ

تَضْبِطُنِي الجَدَّةُ

تُمْسِكُ بِذِرَاعِي، وَتَدْفَعُنِي نَحْوَ البَاب:

"جَرَسُ الحِصَّةِ لَنْ يَنْتَظِرَك".

أَجْمَعُ أَقْلَامِي،

وَعُلْبَةَ أَلْوَانِي،

وَأُرْسِلُ لِلقِطَّةِ عَنْ بُعْدٍ قُبْلَة.



مُعَلِّمَةُ الفَصْلِ تَدُقُّ التَّخْتَةَ بِعَصَاهَا

تَسْأَلُنَا أَنْ نَرْسُمَ شَجَرَةً

أَرْسُمُ قِطَّة

نَكْتُبَ "سَمَكَة"

أَكْتُبُ "قِطَّة"

تَسْأَلُ عَنْ طَائِرِ حَقْلٍ عَذْبِ الصَّوْتِ

طَوِيلِ الرِّيشِ

جَمِيلِ المَنْظَر

أتَمَلْمَلُ لَحْظَاتٍ وَأُفَكِّر

أَهْتِفُ فِي ثِقَةٍ: "قِطَّة".



قَدْ مَلَّ الصَحْبُ أَحَادِيثِي المَسْؤومَة

لاَ أَتَحَدَّثُ إِلاَّ عَنْهَا

لاَ أَتَغَزَّلُ إِلاَّ فِيهَا

أَشْدُو فِي كُلِّ أَوَانٍ مَزْهُوًّا:

"هِي قِطَّتِي

هِي قِطَّتِي

هِي لَيْسَتْ كَالقِطَطِ الأُخْرَى

هِي أَجْمَلُ مِنْ كُلِّ القِطَطِ".

الصَحْبُ يَوَدُّونَ مُرَافَقَتِي

قَدْ شُغِلوا فُضُولاً بِالقِطَّة

أَتَفَلَّتُ مِنْهُمْ عِندَ رَصِيفِ المَدْرَسَةِ

هُمْ خَلْفِي قَدْ عَقَدَوا العَزْمَ

أَرْكُضُ ؛ وَالشَّوْقُ يُسابِقُنِي ؛ صَوْبَ الدَّار

عِندَ العَتَبةِ ؛ تَسْبِقُنَا اللَّهْفَة

أَرْتَقِبُ القِطَّةَ تَقْفِزُ فِي حِضْنِي

تَتَعَلَّقُ فَرَحًا بِذِرَاعِي.

لَكِنَّ القِطَّةَ لاَ تَخْرُج

القِطَّةُ لَيْسَتْ بِالبَيْتِ

أَصْرُخُ غَضْبَانَ؛ أَمُدُّ الْحَرْفَ:

أَيْنَ القِطَّة.. أَيْنَ القِطَّة؟!

مَنْ خَوَّفَهَا.. مَنْ عَنَّفَهَا؟!

أَقْلِبُ أَرْجَاءَ الدَّارِ، أُفَتِّشُ عَنْهَا

أَخْرُجُ لِلبَاحَةِ، وَالصَحْبُ وَرَائِي

القِطَّةُ قُرْبَ الأُرْجُوحَةِ، فِي غُنْجٍ تَتَلَوَّى

تَرْفَعُ رِجْلاً

تَثْنِي ذَيْلاً

القِطُّ الأَسْوَدُ يَلْعَقُهَا

القِطُّ الأَبْيَضُ يَغْوِيهَا

القِطُّ الأجْرَبُ يَتَشَمَّمُ فَرْوَتَهَا

يَسْتَرْوِحُ رِيحَةَ نَشْوَتِهَا

تُمْعِنُ فِي الغَيِّ ، فَتَقْبَعُ طَيِّعَةً

تَخْضَعُ قَانِعَةً وَتَهُزُّ الذَيْلَ.

سُخْرِيَّةً؛ يَتَضَاحَكُ أَصْحَابِي:

"هِي قِطَّتُك

هِي قِطَّتُك"

يَغْمِزُ أَشْقَاهُمْ فِي مَكْرٍ:

"القِطَّةُ مِنْ جِنْسِ الأَسَدِ".

تَخْتَبِئُ القِطَّةُ خَلْفَ الشَّجَرَةْ

تَهْمِسُ لِلقِطَطِ لِتَتْبَعَهَا

هَرَبًا مِّنِّي

بُعْدًا عَنِّي

أَبْكِي

أَجْرِي

أَدْفِنُ رَأْسِي فِي حِضْنِ الجَدَّةْ

أسْأَلُهَا: لِمَاذَا؟...

قُولِي يَا جَدَّةْ.

الجَدَّةُ تَمْسَحُ دَمْعَاتِي، وَتَزْفِر:

"هِي قِطَّة...

وَالقِطَّةُ تَبْقَى قِطَّة

مَهْمَا تَمْنَحُهَا...

الشَّارِعُ مَرْجِعُهَا

الشَّارِعُ مَسْرَحُهَا...

الغُدَرَةُ مِنْ طَبْعِ القِطَّة.

هِي قِطَّة...

وَالقِطَّةُ تَبْقَى قِطَّة"

لَكِنِّي لَمْ أَفْهَم!.

مِنْ السَّفَهِ أَنْ يَهَبُنَا اللَّهُ حُبًّا نَسْتَحِقُّهُ..

فَنُرِيقُهُ تَحْتَ أَقْدَامِ مَنْ لاَ يَسْتَحِقُّونَه

فِي العِشْقِ وَالطِّب

العِشْقُ - لاَ جِدَالَ - مِنْ "الأَمْرَاضِ الخَبِيثَة"

تِلْكَ التِي يُعَّرِفُهَا بَعْضُ الأَطِبَّاءِ

بأَنَّهَا الأَمْرَاضُ مَجْهُولَةُ الأَسْبَاب

بَيْنَمَا يَقُولُ البَعْضُ إِنَّهَا الأَمْرَاضُ التِي تَتَكَاثَرُ خَلاَيَاهَا

سَرَطَانِيًا.. حَتَّى تُسَيْطِرَ عَلَى كَامِلِ الجَسَد

فِيمَا يَعْتَقِدُ العَامَّةُ،

بأَنَّهَا تِلْكَ الأَمْرَاضُ التِي تُودِي بِالمَرِيضِ؛ لاَ مَحَالَةَ؛

إِلَى الهَلاك.



الأَطِبَّاءُ يَقُولُونَ إنَّ تَشْخِيصَ الدَّاءِ نِصْفُ الدَّوَاء

لَكِنَّهم لَمْ يُوَضِّحُوا مَا احْتِمَالاتُ النَّجَاةْ

إِذَا مَا فَشِلُوا فِي إِدْرَاكِ النِصْفِ الآخَر !



لأنَّنِي أقْسَمْتُ أَلاَّ أَعْشَقَ إلاّ امْرَأةً وَاحِدَةً...

تَتَّهِمُنِي النِّسَاءُ بِالسَّذَاجَة

وَيَتَّهِمُنِي الرِّجَالُ بِالحَمَاقَة

وَالشُّيُوخُ بِالغَفْلَة

أَمَّا النُّقَّاد؛ فَيَتَّهِمُونَنِي بِالسَّطْحِيَّة.

وَلأنَّنِي لاَ أَرَى فِي هَذَا الكَوْنِ إلاّ امْرَأَةً وَاحِدَةً...

نَصَحَنِي طَبِيبِي العَجُوزُ بارْتِدَاءِ نَظَّارَةٍ مُنَفِّذَةٍ لِلضَّوء

وَأَنْ أُقْلِعَ نِهَائِيًّا

عَنْ تَعَاطِي الأَحْلاَمِ الشَّفَّافَة.



أَسْلافُنَا يُؤمِنُونَ بِأَنَّ المُجرِّبَ أَجْدَرُ بِالمَشْوَرَةِ مِنَ الطَّبِيب

لِذَا؛ قَرَّرْتُ أَنْ أُدَوِّنَ تَجْرِبَتِي فِي "وَصَايَا سَبْع"...

§ الوَصِيَّةُ الأُولَى : لاَ تَعْشَقْ

وَإِنْ صَيَّرَكَ العِشْقُ أَمِيرًا عَلَى جَزَائِرِ الأَحْلاَمِ

أَوْ سُلْطَانًا فَوْقَ عُرُوشِ المُنَى

§ الوَصِيَّةُ الثَانِية : لاَ تَعْشَقْ

وَإِنْ بَايَعَتْكَ وُفُودُ الطَّيْرِ، وَأَسْرَابُ الحَمَامِ

وَأَذَّنَتْ العَنَادِلُ بِاسْمِكَ فَوْقَ أَغْصَانِ الصِّفْصَاف

§ الوَصِيَّةُ الثَالِثَة : لاَ تَعْشَقْ

وَإِنْ مُلِّكْتَ مَفَاتِحَ السَّحَابِ فِي يَمِينِكَ

أَوْ كُنُوزَ المَنِّ فِي شِمَالِكَ

§ الوَصِيَّةُ الرَابِعَة : لاَ تَعْشَقْ

وَإِنْ أَكَلَتِ الوَحْشَةُ زَهْرَاتِ رَبِيعِك

أَوْ قَضَمَتِ البُرُودَةُ أَطْرَافَ خَرِيفِكَ

§ الوَصِيَّةُ الخَامِسَة : لاَ تَعْشَقْ

وَإِنْ أَدْمَتْكَ سِيَاطُ الشَّوْقِ

أَوْ مَزَّقَتْكَ خَنَاجِرُ الحَنِين

§ الوَصِيَّةُ السادسة : لاَ تَعْشَقْ

لاَ تَعْشَقْ

فَإِنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً ؛

فَإِيَّاكَ وَالغَانِيَة

فَإِنَّهَا لِغَيْرِكَ مِّثْلمَا هِي لَك

فَمَا تَدْرِي اللَّيْلَةَ بِأَيِّ حِضْنٍ تَبِيتْ

فَإِنْ جَاءتْكَ ، لاَ تَعْرِفُ سَبَبا

وَإِنْ هَجَرَتْكَ ، لاَ تَعْرِفُ سَبَبا

وَإِنْ عَشِقَتْكَ ، لاَ تَعْرِفُ سَبَبا

وَإِنْ زَهِدَتْكَ ، لاَ تَعْرِفُ سَبَبا

فَإِيَّاكَ ، إِيَّاك

وَإِلاَّ نَهَشَتْ الغَيْرَةُ بَعْضَك

وَأَحْرَقَتْ الحَيْرَةُ قَلْبَك

وَطَارَدَتَكَ الوَسَاوِسُ فِي صَحْوِكَ وَالمَنَام

وَقَعَدَتْ لَكَ الهَوَاجِسُ فِي كُلِّ مُقَام

وَمَسَّكَ الجُنُونُ ، حَتَّى تَهْلِك.

§ الوَصِيَّةُ الأَخِيرَةُ : لاَ تَعْشَقْ

لاَ تَعْشَقْ

لاَ تَعْشَقْ

فَإِنَّ لِلعِشْقِ جَنَاحَيْنْ؛

أَحَدُهُمَا فِيهِ "رَائِحَةُ" الحَيَاةُ ،

وَالآخَرُ فِيهِ "طَعْمُ" المَوْت.



مَنْ أَصَابَتْهُ الحُمَّى...

يَلْجَأ إِلَى الطَبِيبْ

وَمَنْ مَضَّتْهُ الجُرُوحُ...

يَلْجَأ إِلَى الطَبِيبْ

وَمَنْ عَلَتْهُ القُرُوحُ...

يَلْجَأ إِلَى الطَبِيبْ

وَكَذَا مَنْ أَصَابَهُ الهُزَالُ، أَوْ الضُمُورُ، أَوْ الجُذَامُ،

أَوْ الهَمُّ، أَوْ الغَمُّ

حَتَّى الهَرِمَ إِذَا مَا دَقَّتْ عِظَامُه...

يَلْجَأ إِلَى الطَبِيبْ.

فَتَعْسًا لِلعُشَّاق؛

لاَ طِبٌّ يَنفَعُهُمْ...

وَلاَ طَبِيب!

الحَيَاةُ مَعْرَكَة ..

فَلنُقَاتِلْ حَتَّى النَّصْر،

أَوْ هَزِيمَة النُّبَلاء؛

كَمَا الأَشْجَارُ تَمُوتُ وَاقِفَة

الاِسْمُ إِسْلام ... التُّهْمَةُ عَرَبِيّ

مَشْنُوقٌ ، وَالحَبْلُ حَبْلِي

وَالسَّوْطُ فِي يَدِ الجَلاَّدِ مِنْ بَعْضِ نَبْضِي

وَذِرَاعُ المِقْصَلَةِ تُصَرْصِرُ فِي رُّوحِي

تَرْتَدُّ ، وَتَلْعَقُ - فِي شَهْوَةِ قَتْلٍ -

مِلْحَ جُرُوحِي.

الكُلُّ حُضُورٌ فِي سَاحَةِ مَحْكَمَتِي

وَالقَاضِي الخَالِعُ تَوًّا ثَوْبَ "مُسَيْلِمَةَ" يُجَرْجِرُنِي

يَفْرُدُ حَبْلَ التُهَمِ المُمْتَدِّ

بِطُولِ الحُلْمِ الشَّائِخِ عِنْدَ حَوَافِّ شَرَايِينِي

يَبْرُمُ شَارِبَهُ، ويَأْمُرُ حَاجِبَهُ، لِيَزْعَقَ طَلَبًا لِشُهُودِ الإِثْبَات.

الجَدُّ المَدْفُونُ بِصَحْرَاءِ القُدْسِ

يُلَمْلِمُ أَطْرَافَ الكَفَنِ،

وَيُقْسِمُ إِنِّي

كُلَّ مَسَاءٍ

أَنْبُشُ أَضْرِحَةَ القُدْسِ؛

أُنَقِّبُ عَن مِحْبَرَةِ صَلاحِ الدِين.

العَمُّ المُنْهَكُ رِحَلاً خَلْفَ لُقَيْمَاتِ العَيْشِ يُرَجِّحُ

إِنَّ السِّكِّينَ المَضْبُوطَ

بِجَيْبِ قَمِيصِي المَقْدُودِ

بِقَصْرِ زَلِيخَةَ يُوسُفَ

كَانَ لإِطْلاَقِ سَرَاحِ الذِّئْبِ المَتْهُومِ بِجُرْمٍ مَكْذُوب.

أُسْتَاذُ التَّارِيخِ يُؤَكِّدُ

إِنِّي بِالأَمْسِ تَسَلَّلَتُ إِلَى العَقْدِ الرَّابِعِ

وَرَسَمْتُ - بِدُونِ تَصَارِيحَ -

جِدَارًا يَفْصِلُ بَيْنَ "مُعَاوِيَةَ"

وَأَنْصارِ "عَلِيٍّ" فِي "صِفِّينَ".

أُسْتَاذُ الجُغْرَافِيَا يُوَضِّحُ

كَيْفَ تَسَلَّقْتُ سَلالِمَ أَطْلَسَ

وَنَزَعْتُ الأَسْلاكَ الشَائِكَةَ

تُمَزِّقُ كَبِدًا عَرَبِيًا مَبْتُورَ الأَعْصَاب.

وَإِنِّي بِعْتُ بُرَادَتَهَا بِرُبْعِ دِينَارٍ

أَعْطَيْتُهُ لِغُلَامٍ عِنْدَ الجُمْرُكِ

يَنْتَظِرُ أَبَاهُ العَالِقَ مُنْذُ شُهُورٍ

فِي دَائِرَةِ الجَوَازَات.

يَجْزِمُ ابْنُ الخَالَةِ إنِّي مَلْبُوسٌ

بِالجَانِ المُنْزَرِعِ قُرُونًا

فِي بَاحَةِ دَارِ المَجْنُونِ

يُطَبِّبُ لَيْلاهُ المُغْتَصَبَةَ

فِي مِخْدَعِ "وَرْدٍ" ذِي القُبَّعَةِ الحَمْراء.

عَاهِرَةُ الحَيِّ تُمَصْمِصُ شَفَتَيهَا

وَتَفْضَحُ عَجْزًا

مَا أَشْبَعَ جُوعَ أُنُوثَتِهَا

المُهْرَاقَةِ فِي خَيْمَةِ قَيْصَرَ

حِينَ تَلاقَى الجَمْعَان.

تَتَبَجَّحُ إذْ تَنْصَرِفُ؛ وَتَغْمِزُ:

مَا تَفْعَلُ عَاهِرَةٌ بِلِسَانٍ مَعْقُودِ الحَرْفِ

وَشَفَتَينِ تَقِيئَانِ القُبَلَ هَزَائِمَ مِنْ بَرَدٍ وَرَمَاد؟!

تُرْدِفُ فِي غَيْرِ حيَاءٍ أَوْ خَجَلٍ:

تَبًّا لِعُيُونٍ خُضْرٍ

لاَ تُحْرِقُ بِسِّهَامِ الرَغْبَةِ

جَسَدَ اِمْرَأَةٍ

يَكْوِيهَا الثَّلْجُ المُتَكَّومُ

بَيْنَ الجِلْدِ وَبَيْنَ الجِلْدَةْ.

تَقْرِيرُ الطِّبِّ الشَّرْعِيِّ يُفَسِّرُ:

إِنَّ الشِّرْيَانَ الوَاصِلَ بَيْنَ القَلْبِ وَبَيْنَ النَّشْوَةِ

مَثْقُوبٌ بِاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ نَزِيفًا

لاَ يَرْجُو رَتْقًا.

يَكْشِفُ سِرَّ تَلاَفِيفِ القَلْبِ

المَنْسُوجَةِ بِفُصُوصٍ مِنْ عِقْدٍ لاِمْرَأَةٍ مِنْ بَيْتِ بَنِي هَاشِمَ

فِي سِجْنِ الرُّومِ

تُنَادِي المُعْتَصِمَ

لِيَسْتُرَ فَخْذَينِ أذَلَّهُمَا الأَسْرُ.

لَكِنَّ المُعْتَصِمَ المُغْمِدَ أَسْيَافَ رُجُولَتِهِ

بِأَثْدَاءِ نِسَاءِ التُّرْكِ

يَدُسُّ العِقْدَ بِحَلْقِي المَشْقُوقِ

وَيُحْكِمُ غَلْقَ القَلْبِ بِأَغْلالِ العَسْكَر.

يَبْتَسِمُ مُسَيْلِمَةُ ، وَيُصْدِرُ إِعْدَامًا

دَوَّنَه الكَتَبَةُ فِي البَيْتِ المُعْتِمِ

ذِي الجُدْرَانِ البَيْضَاء.

يَقِفُ الشَّيْخُ الحَاخَامُ يُطَهِّرُ بِصَلِّيبِ المَعْبَدِ

جَسَدِي المَوشُومَ بِحَرْفٍ عَرَبِيٍّ

مَطْمُوسٍ بَيْنَ العِرْقِ وَبَيْنَ العَظْم.

يَتْلُو سِفْرًا مُخْتَصَرًا مِنْ إِصْحَاحِ أَبِي جَهْلٍ

قَرَأَتْهُ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيانَ

عَلَى جَسَدِ شَهِيدٍ فِي يَثْرِبَ

ضَيَّعَهُ رُمَاةُ اللَّهِ بِحَفْنَةِ قَمْحٍ وشَعِير.

أَسْتَحْضِرُ وِرْدَ الغُفْرَانِ، وَأَرْفَعُ كَفَّيْ الحَسْرَةِ، وَأُتَمْتِم:

"يَا رَبِّ هَذَا الذَّنْبُ،

وَتِلْكَ خَطِيئَتِي

فَاغْفِرْ اللَّهُمَّ لِي عُرُوبَتِي".

وَطَنٌ نَسْكُنُهُ ..

وَ وَطَنٌ يَسْكُنُنَا ..

وَ وَطَنٌ نُنْفِقُ العُمْرَ فِي البَحْثِ عَنْه .

بِنْ جُورْيُون يُعَانِقُ أَصْدِقَاءَه

شُكْرًا لَكُمْ.. شُكْرًا لَكُمْ

يَا أَصْدِقَاء

شُكْرًا للأَخْضَرِ مِنكُمْ وَالأَصْفَرْ

شُكْرًا للأَبْيَضِ يَأْكُلَهُ الأَسْوَدْ

تَبًّا للَّوْنِ الوَاحِدِ قَضَّ مَضَاجِعَنَا.

شُكْرًا للزَاعِقِ وَالنَاعِقِ

وَالمُتَشَدِّقِ وَالمُتَفيْهِقِ

وَالمُسْتَأْسِدِ، إِذْ يَزْأَرُ فِي جَنْبِ البَيْتِ المُتَهَدِّم

تَبًّا للصَّوْتِ الوَاحِدِ صَمَّ مَسَامِعَنَا.

شُكْرًا للثَّائِرِ فِي وَجْهِ الثَّائِرِ

رَفَعَ كُعُوبَ بَنَادِقِهِ

أَوْ أَلْقَى بَعْضَ قَنَابِلِهِ

شُكْرًا إِنْ حمَلَ السِّكِّينَ أَوْ الخِنْجَر

كُلٌّ لاَ نَأْلُو الشُكْرَ، وَلاَ نَحْقِر



شُكْرًا لَكُمْ .. شُكْرًا لَكُمْ

يَا شُرَكَاءَ الهَدْفِ الوَاحِدِ

وَرِفَاقَ الدَّرْبِ الوَاحِدِ نَحْوَ الخَارِطَةِ الكُبْرَى

مِنْ شَطٍّ خَلِيجٍ مُسْتَعِرٍ

إِلَى شَطٍّ مُحِيطٍ يَسْتَعِرُ

مَنْ ذَا قَالَ "الفُرَقَاء"؟!

خَسِئُوا

يَا بَعْضًا مِنَّا

يَا أَيْدِي الرَّبِ المُرْسَلَةَ ؛ كَتَائِبَ تَبْطِشُ عَنَّا

إِنَّا ، لَوْلَاكُمْ ، مَا كُنَّا

إِنّا ، لَوْلَاكُمْ ، مَا سُدْنَا

مَا سِرْنَا فِي الجَسَدِ المُهْتَرِئِ ، جَحَافِلَ مِنْ سُوسٍ يَنْخَرْ

فَالقَلْبُ الآنَ عَلَى مَرْمَى جُرْحٍ ، أَوْ أَقْصَرْ

فَارْمُوا ،

أَفْدِيكُمْ كُلَّ هَيَاكِلِنَا

ارْمُوا..

إنَّ الجَسَدَ الشَّائِخَ يُحْتَضَرُ



شُكْرًا لَكُمْ .. شُكْرًا لَكُمْ

يَا صَوْتَ الوَعْدِ المُشْرِفِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبِ

لاَ تَلْتَفِتُوا لِذَاكَ الصَّوْتِ الأَسْخَفِ يَتَرَدَّدُ فِيكُمْ

يَسْتَصْرِخُ ضَرَعًا أَنْ كُفُّوا أَيَادِيكُمْ

لِعَجَائِزَ يَبْكِيْنَ الخَيْبَةَ تَتَرَاقَصُ بَيْنَ الطُرُقَات

لِلنِّسْوَةِ يَلْطِمْنَّ خُدُودَ الحَسَرَات

يَنْدُبْنَّ الزَّوْجَ المَقْتُولَ بِـ"رَشَّاشِ" الأَخِ،

المَذْبُوحِ بِأَسْيَافِ الابْنِ،

المَشْنُوقِ بِأَحْبَالِ العَمِّ،

المُتَقَاتِلِ مَعَ زَوْجِ الابْنَةِ.

لِلبِنْتِ المُخْتَبِئَةِ فِي رُّكْنِ الدَّارِ،

تُلَمْلِمُ أَثْوابَ العِفَّةِ.

لِلصِبْيةِ عِنْدَ المَدْرَسَةِ، وَقَدْ نَفَضَوا الكُتُبَ

بُلُوغًا لِمُرَادِفِ "أُمَّة".

لِشُيُوخٍ صَوْبَ القِبْلَةِ قَدْ رَفَعُوا الشَّكْوَى.

هُمْ حَمْقَى..

لَمْ يَدْرُوا مَا مَعْنَى "الدَّوْلَة"

أَوْ كَيْفَ الثَّوْرَةُ تُولَدُ مِنْ رَحِمِ الفَوْضَى

فَالزَّحْفُ إِلَى "تَلِّ أَبِيبَ"

يَمُرُّ مِنَ الضَّفَّة

يَجْتَاحُ اللَّوْزَ اليَانِعَ فِي غَزَّةْ

يَغْتَالُ القَمَرَ الطَّالِعَ فِي بَيْرُوتَ،

وَيَزْحَفُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الخُرْطُومَ إِلَى دَارْفُورَ

إِلَى مَقْدِيشِيو إِلَى صَنْعَاء

يَجْتَثُّ جُذُوعَ الزَّيْتُونِ،

وَيَحْرِقُ حَتَّى الشَّتْلَ الهَارِبَ فِي الصَّحْرَاء.



شُكْرًا لَكُمْ .. شُكْرًا لَكُمْ

يَا أَصْدِقَاء

فَلتُصْبَغْ كُلُّ الأَرْضِ العَرَبِيَّةِ بِاللَّوْنِ الأَحْمَر

وَلتُفْرَشْ بِالجُثَثِ الطَازَجَةِ ،

وَبِالعَظْمِ العَرَبِيِّ المُتَكَسِّر

وَلأَجْلِ عُيُونِ الأَقْصَى المُحْتَسِبِ

وَلأَجْلِ دُمُوعِ القُدْسِ المُحْتَبَسَة

فَلتَخْفِقْ رَايَاتُ الفِتْنَةِ فِي الأُفُقِ

وَلتُقْرعْ كُلُّ طُبُولِ الحَرْبِ الأَهْلِيَّة .



شُكْرًا لَكُمْ .. شُكْرًا لَكُمْ

يَا أَصْدقَاءِ.

ديفيد بن جوريون : مؤسس دولة إسرائيل وأول رئيس وزراء لها.

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْجَح؛

فَعَلَيْكَ أَنْ تَخْتَارَ مَا بَيْنَ مَحَبَّةِ النَّاسِ..

أَوْ تَقْدِيرِهِم

فِي العِشْقِ وَ الصَّدَاقَة

لَوْعَةُ العِشْقِ تَقْتُلُنَا

فَنُرِيحُ وَنَستَرِيحُ

وَحَسْرَةُ الصَّدَاقَةِ تَقْصمُنَا

شَطْرًا يَمُوتُ حَيًّا

وَشَطْرًا يَحْيَا مَيِّتًا

فَلاَ التُّرَابُ وَارَانَا

وَلاَ بَعْثَرَتْ أَشْلاءَنَا الرِّيحُ !



أَنْفَسُ الحُبِّ: قَلْبَانِ تَزَاوَجَا خُلْدا

وَمَا تَلامَسَتْ حَتَّى الأَصَابِع

وَأَصْعبُ الحُبِّ: دَمْعَةٌ تَلْتَاعُ شَوْقا

وَتَأْبَى وَكْفَهَا المَدَامِع



أَرْخَصُ الصَّدَاقَةِ؛

تِلْكَ التِي تُبَاعُ بِرَعْشَةِ شَبَق

وَأَوْهَنُهَا؛

تِلْكَ المُتَهَتِّكَةُ بَيْنَ رِجْليِّ سَاقِطَة



لَيْسَتِ الصَّدَاقَةُ كالحُب

لَيْسَتِ الصَّدَاقَةُ كالحُب

أَرَأَيْتِ إِنْ أَمْنَحُكِ الخِيَار

بَيْنَ الوَفَاءِ وَطَاعَةِ الإِلَه؟

بَيْنَ العِيَادَةِ وَالصَّلاه؟

أَوَ تَمْلِكِينَ مِنْ خِيَار؟

أَوَ تَمْلِكِينَ مِنْ قَرَار؟

فَمَا لَكِ كَيْفَ تَحْكُمِين؟!

أَوَ تَجْعَلِينَ الصَّدَاقَةَ كالحُب؟!

لَيْسَتِ الصَّدَاقَةُ كالحُب

لَيْسَتِ الصَّدَاقَةُ كالحُب



لَيْسَ فِي العِشْقِ اِخْتِيَار

فَالعُشَّاقُ كُلُّهُمُ...

لِلعِشْقِ عَبِيدْ

وَلَيْسَ فِي العِشْقِ اِنْتِصَار

فَبَيْنَ قَتِيلٍ أَوْ جَرِيحٍ أَوْ كَسِيرٍ أَوْ أَسِيرٍ أَوْ كَمِيدْ

وَلَيْسَ لِلعِشْقِ اِنْحِسَار

فَكُلَّمَا نَاشَدْتُ القَلْبَ: كَفَانَا اِحْتِرَاقا

أَجَابَ: هَلْ مِنْ مَزِيدْ؟!



يَا صَاحِبِي...

يَا مَنِ اتَّخَذْتُهُ لِنَّفْسِي كَنَّفْسِي

وَأَنْخْتُ لَهُ قَدْرِي وَنَفْسِي

وَرَفَعْتُهُ دَرَجَاتٍ فَوْقَ الأقْرَبِينْ

وَأَسْكَنْتُهُ مِّنِّي فِي عِلِّيِّينْ

وَبَسَطْتُ لَهُ الرُّوحَ مُتَّكَأً

وَالعَضُدَ مُلْتَجَأً

وَالجَفْنَينِ مَهْدًا طَيِّبَ التَّمْكِينْ

إِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنِّي أَفْرَطتُ فِي صَدَاقَتِك

وَذَنْبُكَ أَنَّكَ فَرَّطَتَ فِي صَدَاقَتِي

فَحَسْبُنَا اللّٰهُ

-إِنْ شَاءَ-

يَمْحُو ذُنُوبَ العَالَمِينْ.



مَا أَقْسَى أَنْ نَحْيَا بِأَنْفُسِنَا ؛ لأَنْفُسِنَا

غُرْفَةٌ لاَ تَتَّسِعُ لِشَخْصَين

أُطْفِئُ شَمْعَة ..

أَنْتَظِرُ اللَّيْلَ المُتَثَائِبَ يَنْعَس

أَوْ يَنْخَزُهُ المَلَلُ فَيَسْحَبُ سُتْرَتَهُ وَيَرْحَل

أَنْتَظِرُهُ يَتَمَلْمَل

يَنْزَاحُ بِمِقْدَارِ شَهِيْقْ

يَرْتَدُّ عَلَى مَخْرَجِ أَنَّاتٍ حُبْلَى

أَجْهَضَهَا الرِّيْقْ

وَالجُدُرُ تَضِيْقْ

تَعْتَصِرُ الطَارِحَ مِنْ ثَمَرَاتِ الرُّوح

أَنْزِفُهُ فَتِيتَ حُرُوفٍ تَتَهَاوَى

تَتَنَاثَرُ بَيْنَ الجُمَلِ المُوحَشَةِ ،

كَخَيْطِ هَشِيمْ

وَاللَّيْلُ عَقِيمْ

لاَ يُنْجِبُ أَحْلاَمًا تُشْبِهُنِي

أَوْ لُغَةً تَسْتَحْضِرُ صَمْتِي

أَوْ نَجْمَةَ أَمَلٍ عَابِرَةٍ ،

أَوْ وَمْضَ بَرِيقْ.

اللَّيْلُ عَلَى أَرْصِفَةِ الشَوْقِ حَرِيقْ

اللَّيْلُ حَرِيقْ.



أُطْفِئُ أُخْرَى..

أَفْتَحُ قِنِّينَةَ وَجَعٍ عَتَّقَهَا السَّهَرُ

أَشْرُبُ نَخْبَ اللَّيْلِ المُتَكَاسِلِ؛

يَخْلَعُ نَعْلَيْهِ وَيَفْرُدُ جِذْعَهُ فَوْقَ سَرِيرِي.

أَتَفَرَّسُ وَجْهَه

سَكِنَاتِه حِيْنَ الشَّجَنِ المُتَأَوِّهِ يَتَمَوْسَق

نَقَرَاتِ أَصَابِعِه المُنْعَزِفَةِ فِي الصَّحْنِ الفَارِغ

وَبُرُودَةُ أَظْفَارِهِ تُرْجِفُ كَفِّي

تَتَسَرَّبُ عَبْرَ الأَوْرِدَةِ المَثْقُوبَةِ أَلَما.

أَسْحَبُ كُرْسِيًّا مِنْ خَلْفِ المَائِدَةِ العَرْجَاء

أَتَكَوَّمُ فِي زَاوِيَتِي

أَلْتَقِطُ مَحَطَاتِ الأَخْبَار

أَتَجَوَّلُ بَيْنَ الصُحُفِ البَائِتَةِ،

وَبَيْنَ الكُتُب.

أَلْتَفِتُ إِلَيْهِ..

مَا زَالَ اللَّيْلُ المُتَثَاقِلُ يَتَمَطَّى

يَسْتَحْلِبُ غَيْمَةَ حُزْنٍ هَاذِيَةٍ فِي سَقْفِ الغُرْفَة

يُهْدِرُهَا أَنِينًا فِي صَدْرِي

تَشْتَعِلُ حَنِينًا يَأْكُلُنِي

يَرْمِينِي عَلَى أَرْصِفَةِ الشَّوْقِ،

وَاللَّيْلُ عَلَى أَرْصِفَةِ الشَّوْقِ حَرِيقْ

اللَّيْلُ حَرِيقْ.



أُطْفِئُ آخِرَ شَمْعَاتِ الرُّوح..

السَّحَرُ يُطِلُّ بِوَجْهٍ مُكْتَحِلِ

لاَ جَعْدَةَ ضَوْءٍ تَعْبُرُهُ

لاَ نَدْبَةَ لَوْنٍ فِي خَدِّه

يُسْلِمُ جَفْنَيَّ لأَسْتَارِ اللَّيْلِ المَشْدُودَة

أَسْكُنُ حِضْنَه

لاَ يَنْهَرُنِي..

حِينَ أُمَارِسُ أَحْلاَمِي السِّرِّيَّة

أَوْ حِينَ أُضَاجِعُ أَطْيَافَ الذِّكْرَى

لاَ يَنْهَرُنِي..

يَرْفُقُ بِكَلِيمٍ أعْيَتْهُ الحِيَلُ

يَتَشَمَّمُ جُرْحِي

يَتَحَسَّسُ أَسْوَاطَ الجَلاَّدِ عَلَى قَلْبِي

يُرَبِّتُ سَبْعًا

يَنْفُثُ فِي أُذُنِي تَرَاتِيلَ الوَجْدِ

يَصْنَعُ تَعْويذَةَ عِشْقٍ قُدْسِيَّة:

مِنْ جُرْحٍ لاَ يُرْجَى بُرْؤُه

مِنْ دَمْعَةِ عَيْنٍ تَتَلَمَّسُ هَرَبا

مِنْ حُلْمٍ مَخْبُوءٍ فِي دُرْجِ الرِّيح

مِنْ غَيْمَةِ شَوْقٍ لاَ تُسْقِطُ مَطَرا.

يُغْمِضُ عَيْنَي..

يَلْعَنُ صُبْحًا لاَ يَأتِي

يَتَأَبَّطُ حُلْكَتَهُ،

وَبَعْضًا مِنْ كِسَفِ العَتَمَة.

يُحْصِي النَجْمَاتِ،

وَيَمْضِي.

يُحْكِمُ غَلْقَ البَابِ،

وَيَرْحَل.



هَوَامِشٌ عَلَى دَفَاتِرَ مُهْمَلَة

أَوَّلُ الحُبِّ اِشْتِيَاقْ

وَآخِرُ الحُبِّ اِفْتِرَاقْ

وَبَيْنَهُمَا..

لَوْعَةٌ وَاِنْكِسَارٌ وَاِحْتِرَاقْ

فَيَا لَقَسْوَةِ العِشْقِ

وَيَا لَشَّقْوةِ العُشَّاقْ



يَا قَلْبُ..

كُلُّ جُرْحٍ وَأَنْتَ بِخَيْر

❖ ❖ ❖

أَهْمِسُ لأَشْواقِي مُعَاتِبًا:

أَيْنَ كَرَامَتُنَا؟

فَيَتَرَدَّدُ أَنِينُ الوَجَعِ بَيْنَ ضُلُوعِي:

أَيْنَ قَلْبُكَ؟

❖ ❖ ❖

الحُبُّ لاَ يَصْنَعُ المُعْجِزَات..

هُوَ فَقَطْ يَمْنَحُنَا القُدْرَةَ عَلَى صُنْعِهَا



الْمَلاَئِكَةُ لا يَعْشَقُونْ...

فَكَيْفَ نَدَّعِي وُجُودَ "الحُبُّ المَلائِكِي"



يَقُولُ الرُوَاةُ إِنَّ "قَيْسًا" كَانَ يَقْضِي لَيْلَهُ مُنَاجِيًا طَيْفَ "لَيْلَى"
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا مَا كَانَتْ تَفْعَلُ "لَيْلَى" حِينَهَا؛
وَهِيَ فِي مَخْدَعِ "وَرْدٍ"، وَبَيْنَ أَحْضَانِهِ



قَيْسُ ابْتُلِيَ بِالجُنُون

... وَبِالغَبَاءِ أَيْضًا



اِمْرَأَةٌ نُحِبُّهَا فَتُسْعِدُنَا..

وَاِمْرَأَةٌ نُحِبُّهَا فَتُشْقِينَا..

وَشَرُّ النِّسَاء:

اِمْرَأَةٌ نُحِبُّهَا فَمَا تُبَالِي إِنْ سَعِدْنَا أَمْ شَقِينَا



كُلَّمَا صَادَفْتُ عَاشِقِينِ يُحَلِّقَانِ مَعًا فِي سَمَاءِ الحُبّ..

تَحَسَّسْتُ مَا تَرَكَ الحُبُّ بَيْنَ جَوَانِحِي مِنْ بقَايَا أَحْلامِي،

وَأَشْلاءِ ذَاتِي



(إِلَى أُمِّي ...)

عِنْدَمَا أَنْحَنِي لأُقَبِّلَ يَدَيْكِ

وَأَسْتَجْدِي نَظَرَاتِ الرِّضَا مِنْ عَيْنيكِ

وَأَسْكُبُ دُمُوعَ خُضُوعِي فَوْقَ صَدْرِكِ

حِينَهَا فَقَطْ....

أَشْعُرُ بِاكْتِمَالِ رُجُولَتِي



الرَّجُلُ يَبِيعُ صَدِيقَهُ لأَجْلِ امْرَأَةْ

وَالْمَرْأَةُ تَبِيعُ صَدِيقَتَهَا لأَجْلِ رَجُل

بَاتَتْ الصَّدَاقَةُ بِضَاعَةً كَاسِدةً لاَ يَشْتَرِيهَا إِلاَّ المُغَفَّلُون



أَرْجُوك..

اِسْلُبْنِي أَيَّ شَيْءٍ..

إِلاَّ أَحْلاَمِي!

❖ ❖ ❖

قَدْ نَخْسِرُ كُلَّ مَا نَمْلِك..

لَكِنْ..

يَتَبَقَّى لَنَا الحُلْم

فَمَاذَا يَتَبَقَّى لَنَا إِنْ ضَاعَ الحُلْم؟!



أَيُّهَا الحَرْفُ التَعِس..

يَكْفِيكَ شَقَاءً .. أَنَّنِي كَاتِبُك

❖ ❖ ❖

اللَّهُمَّ احْمِنِي مِنَ الحَاضِرِ وَالمَاضِي

أَمَّا الغَدُ.. فَأَنَا كَفِيلٌ بِهِ

❖ ❖ ❖

لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ نَكْتُبَ بِأَيْدِينَا كَلِمَةَ (النِّهَايَة)

إِنَّمَا الأَصْعبُ أَنْ نَخْلُقَ (بِدَايَةً) جَدِيدَة



أَلْمَحُ فِي المِرْآةِ شَذَرَاتٍ بَيْضَاءَ تَزْحَفُ مُتَسَلِّلةً لِتَغْزُو خُصْلاتي

ابْتَسَمْتُ لَهَا مُرَحِّبًا..

اسْتَدَرْتُ فأغْلَقْتُ أَبْوَابَ القَلْبِ

وَأَسْلَمْتُ المِفْتَاحَ إِلَيْهَا !



غَمَرَنِي بِنَظَرَاتِ العَطْفِ وَالحُنُوّ..

رَبَّتَ عَلَى كَتِفِي مُوَاسِيًا:

- مِنَ الأَلَمِ يُولَدُ الأَمَل

أجَبْتُهُ صَامِتًا بِنَظَرَاتٍ شَارِدَة..

فَمَا أَسْخَفُ أَلْحَانِ الأَمَلِ تَعْزِفُهَا قُلُوبٌ مُتْرَفَةٌ عَلَى أَوْتَارِ قُلُوبٍ ذَبِيحَة



قَدْ يَكْبُرُ الحُزْنُ فَيُصْبِحُ شَجَرَةً وَارِفَةً تُظِلُّنَا أَوْرَاقُهَا اليَابِسَة

وَقَدْ يَكْبُرُ فَيُصْبِحُ نَهْرًا عَمِيقًا يَجْرُفُنَا نَحْوَ دُوَّامَاتٍ سَحِيقَة

وَقَدْ يَكْبُرُ فَيُصْبِحُ لَيْلاً مُظْلِمًا يَلُفُّنَا سَوَادُهُ الحَالِك

لَكِنْ...

مَا أَقْسِى أَنْ يُصْبِحَ الحُزْنُ دِمَاءً تَجْرِي فِي عُرُوقِنَا

فَتَمْنَحُنَا حَيَاةً أَقْرَبَ إِلَى اللاحَيَاة



عِنْدَمَا نَنْتَظِرُ أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ فِي مُنْتَصَفِ لَيْلِ الأَحْزَانْ

وَنَنْتَظِرُ أَنْ يَسْرِي الدِفْءُ فِي صَقِيعِ نَيْسَانْ

وَنَنْتَظِرُ أَنْ تُورِقَ الأَحْلامُ فِي خَرِيفِ النِّسْيانْ

وَنَنْتَظِرُ أَنْ يُولَدُ الأَمَلُ مِنْ رَحِمِ الحِرْمَانْ

حِينَهَا... يُصْبِحُ الانْتِظَارُ أَكْبَرُ عَذَابَاتِنَا



قَبْلَ أَنْ أُكْمِلَ العِشْرِينَ؛ كُنْتُ قَدْ تَقَلَّدْتُ أُولَى مَسْؤُولِيَّاتِي... أَشْفَقَ عَلَيَّ وَاحِدٌ مِمَّنْ اخْتَبَرَتْهُم الحَيَاةُ، فَأَسْدَى إِلَيَّ نَصِيحَةً: (إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْجَح؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَخْتَارَ مَا بَيْنَ مَحَبَّةِ النَّاسِ.. أَوْ تَقْدِيرِهم).

قَضَيْتُ عُمْرِي نَدَمًا عَلَى اخْتِيارِي، فَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ عِنْدَمَا أُلْقِي بِرَأْسِي الْمُتْعَبِ عَلَى الوَسَادَةِ الصَّغِيرةِ؛ يُتَمْتِمُ قَلْبِي فِي أَسًى: (مَا أَقْسَى أَنْ نَحْيَا بِأَنْفُسِنَا؛ لأَنْفُسِنَا)..

فَأُجِيبُه مُعَلِّلاً:

(وُلِدَتْ فِي السَّمَاءِ مَنْ لَمْلَمَتْ أَيَامَنَا الضَّائِعَةَ بَيْنَ أَصَابِعِهَا، لَكِنَّ الأَقْدَارَ لَمْ تَأْذَنْ لَهَا بَعْدُ فِي النُّزُولِ إِلَيْنَا).



فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِي..

كُنْتُ أَمْقُتُ السَّاعَاتِ الأُولَى مِنَ الصَّبَاح..

لأَنَّهَا تَعْنِي الاِسْتِيقَاظَ مُبَكِّرًا، وَالذَّهَابَ إِلَى المَدْرَسَة

وَالحَقِيبَةَ المُثْقَلَةَ، وَطَابُورَ الصَّبَاح

وَمُدَرِّسَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ العَابِسَ دَوْمًا

وَالحِصَصَ المُمِلَّةَ، وَالوَاجِبَاتِ المُرْهِقَة

وَشِجَارَاتِ الفِنَاءِ التِي لاَ تَنْتَهِي

الآنَ..

وَقَدْ تَجَاوَزْتُ الثَّلاثِينَ..

مَا زِلْتُ أَمْقُتُ السَّاعَاتِ الأُولَى مِنَ الصَّبَاح..

لأَنَّهَا لَمْ تَعُدْ تَعْنِي لِي هَذَا كُلَّه!



هَمَسَتْ لِي مِنْ خَلْفِ دَمْعَاتِهَا الكَسِيرَةِ:

- عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَرِفَ بِالهَزِيمَة

لَمْ أُجِبْ..

سَكَتَتْ الأَحْرُفُ المَشْنُوقَةُ فَوْقَ سُطُورِ الأَلَم

قَالَتْ لِي:

- صَدَقَتْ الأَقْدَارُ وَكَذَبَتْ أَحْلامُنَا

لَمْ أُجِبْ..

سَقَطَتْ آخِرُ الأَحْلامِ المَصْلُوبَةِ فَوْقَ أَسْوارِ القَدَر

قَالَتْ:

- لَمْ يَعُدْ بِالكَوْنِ مُتَّسَعٌ لِخُطُوَاتِنَا الصَّغِيرَةِ

لَمْ أُجِبْ..

رُحْتُ أُلَمْلِمُ بَقَايَا الحُلْمِ المَنْثُورِ عَلَى جُدْرَانِ الرُّوح

ارْتَمَيْنَا عَلَى حَافَّةِ الانْكِسَارِ مُنْهَكَيْنِ؛ مُتْعَبَيْن

سَطَّرْنَا مَعًا بِأَيْدٍ مُرْتَعِشَةٍ فَوْقَ الرِّمَالِ الْمُحْتَرِقَةِ كَلِمَةَ (النِّهَايَة)..

رُحْنَا نَتَأَمَّلُهَا صَامِتَيْنِ.. نَحْتَضِنُهَا؛ نُخَبِّئهَا بِدَاخِلِنَا لَعَلَّنَا نَحْتَفِظُ بِآخِرِ مَا يَجْمَعُ اسْمَيْنَا مَعًا

أَبَتْ الرِّيحُ إِلاَّ أَنْ تَمْحُو آخِرَ آثَارِنَا..

مَاتَتْ كَلِمَةُ (النِّهَايَة).



اللَّهُمَّ جِئْتُكَ وَقَدْ غُلِّقَتِ الأَبْوابُ

وَضَاقَ الرُّحَابُ

وَتَقَطَّعَتْ بِيَّ الأَسْبَابُ

اللَّهُمَّ فَافْتَحْ لِيْ مِنْ أَبْوَابِك

وَاقْبَلْنِي بِرُّحَابِك

وَهَيِّءْ لِيْ مِنْ أَسْبَابِك

اللَّهُمَّ جِئْتُكَ –وَأَنتَ أَعْلَمُ بِي مِنِّي–

اللَّهُمَّ جِئْتُكَ –وَأَنتَ أَقْرَبُ لِي مِنِّي–

اللَّهُمَّ جِئْتُكَ –وَأَنتَ أَرْحَمُ بِي مِنِّي–

اللَّهُمَّ جِئْتُكَ ؛ وَهَذَا حَالِي كَمَا تَرَى

كَسِيرٌ.. كَمَا تَرَى

سَقِيمٌ.. كَمَا تَرَى

نَزِيفٌ.. كَمَا تَرَى

فَاحْكُمْ بِمَا تَرَى.. فِيمَا تَرَى

فَإِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ مَا تَرَى

وَلاَ عَدْلَ إِلاَّ مَا تَرَى

وَلاَ حَقَّ إِلاَّ مَا تَرَى

يَا مَنْ تَعْلَمُ وَتَسْمَعُ وَتَرَى

وَتَحْكُمُ بِالخَيْر



نَفْشَلُ فِي اِقْتِنَاصِ أَحْلامِنَا الصَّغِيرَة..

عِنْدَمَا تَنْجَحُ أَوْهَامُنَا الكَبِيرَةُ فِي اِقْتِنَاصِنَا

اِمْتِحَانُ نِهَايَةِ الفَصْلِ

§ السُّؤَالُ الأَوَّل: أَوَ أَكْرَهُكِ؟

يَا سَيِّدَتِي: مَنْ يَسْتَوْطِنْ الحُبُّ شِعَابَ قَلْبِهِ المُوحَشَةِ؛ لاَ تَتَسَلَّلْ ذِئَابُ الكَرَاهِيَةِ لِتُرَوِّعَ مَشَاعِرَهُ الآمِنَةَ فِي رُبُوعِ الوَفَاء.

يَا سَيِّدَتِي: عِنْدَمَا أَحْبَبْتُكِ، لمْ أَنْتَظِرْ إِذْنًا مِّنَ السَّمَاء، وَلاَ وَقَفْتُ بِبَابِ الجَنَّةِ لأَتَسَاءلَ إِنْ كُنْتِ سَتَمْنَحِينَنِي السَّعَادَةَ أَمْ الشَّقَاء، وَلاَ أَتَيْتُ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا لأَحْزُرَ أَيْنَ أَكُونُ فِي لَوْحِكِ المَحْفُوظ...
لَقَدْ أَحْبَبْتُكِ.. لأَنَّنِي أَحْبَبْتُكِ، اتَّخَذْتُ قَرَارِي وَحْدِي، وَتَحَمَّلْتُ مَسْؤُولِيَّتَهُ وَحْدِي، وَشَقِيتُ بِهِ وَحْدِي، وَاحْتَرَقْتُ فِيهِ وَحْدِي...
فَلِمَاذَا إِذَنْ أَكْرَهُكِ؟!

يَا سَيِّدَتِي: أَنَا لاَ أَكْرَهُكِ...
لَكِنَّكِ لَمْ تَدَعِي للقَلْبِ مُتَنَفَّسًا يَتَنَسَّمُ عَبْرَهُ عَبَقًا للحُبّ.

§ السُّؤَالُ الثَّانِي: أَيُغَالِبُنِي الحَنِين؟

مَا كَانَ الحَنِينُ ذَنْبًا لأَتَبَرَّأَ مِنْهُ، أَوْ تُهْمَةً فَأَنْفِيهَا، أَوْ عَيْبًا فَأَسْتُرُهُ...

نَعَمْ.. يُغَالِبُنِي الحَنِين؛ يَغْلِبُنِي، يَقْتَنِصُنِي فَرِيسَةً سَهْلَةً بَيْنَ أَشْجَارِ الذِكْرَيات، يَلْتَهِمُنِي لَحْمًا طَرِيًّا عَلَى مَائِدَةِ الاشْتِيَاق... قَبْلَ أَنْ يُلْقِي بِبَقَايَاي المُتَآكِلةِ عَلَى قَارِعَةِ الأَلَم.

نَعَمْ.. مَا زَالَ الحَنِينُ يَسْكُنُنِي، يَحْتَلُّ ذاكِرَتِي.. يَعْبَثُ بِأَشْيَائِي الصَّغِيرةِ، وَعَادَاتِي السَّيِّئَة.. يُقَاسِمُنِي حُجْرَتِي، وَوِسَادَتِي.. يُطِلُّ مِنْ شُرْفَاتِ أَحْلامِي، وَنَوَافِذِ أَفْكَارِي.. يُرَاوِدُ أَقْلاَمِي الشَّائِخَة، وَأَوْرَاقِي القَدِيمَة، وَرَنَّاتِ هَاتِفِي، وَدُخَانَ سَجَائِرِي.. يَغْتَصِبُ سَاعَاتٍ غَافِلةً، وَمَشَاعِرَ صَاغِرةً، وَخُطُوَاتِ مُسَيَّرةً فِيمَا اخْتَارتْهُ.

نَعَمْ.. مَا زَالَ الحَنِينُ يُهَدْهِدُ المَاضِي الغَائِرَ بَيْنَ ضُلُوعِي، بَعْدَ أَنْ أَمْسَى عَقِيمًا، لاَ يَلِدُ حَاضِرًا أَوْ مُسْتَقْبَلاً.

§ السُّؤَالُ الثَّالِث : أَوَ أُحِبُّ بَعْدَكِ؟

الحُبُّ يا سَيِّدَتِي؛ كَالمَوْتِ وَالمِيلاَدِ، لاَ يَجِيءُ فِي العُمْرِ إلا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نُولَدَ مَرَّتَيْنِ، أَوْ كَيْفَ لَنَا أَنْ نُولَدَ بَعْدَ إِذْ مِتْنَا؟

يا سَيِّدَتِي: لَقَدْ تَكَوَّرْتُ فِي رَحِمِ الحَيَاةِ سَنَوات وَسَنَوات، أَتَسَلَّقُ مَشِيمَةَ الحُبِّ؛ أَتَنَفَّسُ قَصَائِدَ الحُبِّ، أَتَغَذَّى بِحُرُوفِ الحُبِّ.. حَتَّى الْتَقَيْتُكِ، فتَمَخَّضتُ مِنْ بَينَ أَصَابِعِكِ عَاشِقًا مُلْتَصِقًا بِحَبْلِ أَهْدَابِكِ؛ عَارِيًا مِنْ آثَامِ العِشْقِ؛ إِلاَّ مَا كَسَوْتِني.. مُنَزَّهًا عَنْ حَمَاقَاتِ العُشَّاقِ؛ إِلاَّ مَا وَصَمتِنِي.. ضَالاً فِي مَتَاهَاتِ الجَسَدِ؛ إِلاَّ مَا هَدَيْتِنِي.

يَا سَيِّدَتِي... لَقَدْ وُلِدتُ عِنْدَ أَوَّلِ لَحْظَةٍ الْتَقَيْتُكِ فِيهَا، وَمِتُّ فِي اللَحْظَةِ الأَخِيرةِ قَبْلَ رَحِيلِكِ، فَمِنْ أَيْنَ لِي بَعْدَكِ بِإِلَهَةٍ بِيَدَيهَا الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ وَالبَعْثُ وَالحِسَابُ، لِتَنفُخَ فِيَّ مِنْ رُوحِهَا، فَتَبْعَثَنِي خَلْقًا جَدِيدا؟!

§ السُّؤَالُ الرَّابِع : هَلْ مَا زِلتُ أُحِبُّكِ؟

آهٍ يَا سَيِّدَتِي...

لَيْتَ هَذَا السُّؤَالَ كَانَ اخْتِيَارِيًّا ، لَيْتَهُ لَمْ يَجِيءْ ، فَقَدْ ذاكَرْتُ الْمُقَرَّرَ كُلَّهُ ، وَأَجَبْتُ أَسْئِلَتَهُ كُلَّهَا ، وَأَنْجَزْتُ تَمَارِينَهُ كُلَّهَا ، وَرَاجَعْتُ دُرُوسَهُ كُلَّهَا ؛ مِنْ أبْجَدِيَّةِ الحَاءِ وَالبَاءِ ، وَحَتَّى تَرْنِيمَةِ الوَدَاعِ الأَخِير... وَكُلَّمَا سَأَلَنِيه القَلْبُ؛ رَاوَغْتُهُ ، عَمَدْتُ إِلَى إلْهَائِهِ ؛ احْتَلْتُ عَلَيهِ ؛ اِسْتَرْجَعْتُ لَهُ صَفَحَاتِكِ سَطْرًا سَطْرا.. دُونَ أَنْ أُجِيبُه.

آهٍ يَا سَيِّدَتِي...

لَقَدْ أَحْبَبْتُكِ قَدْرَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الحُبِّ مُنْذُ أَنْ أُدْخِلَ آدَمُ الجَنَّةَ إِلَى أَنْ تَسْقُطَ آخِرُ حَبَّةِ تُفَّاحٍ عَلَى الأَرْض...

آهٍ يَا سَيِّدَتِي...

آهٍ لَوْ أَنَّكِ تَرَكْتِهِ حُرًّا

كَمَا الأَوْرَاقُ عَلَى أَغْصَانِهَا

كَمَا العَصَافِيرُ فِي طَيَرَانِهَا

كَمَا الأَنْهَارُ فِي جَرَيَانِهَا

آهٍ لَوْ أَنَّكِ تَرَكْتِهِ يَخْفُقُ

كَمَا الأَطْفَالُ فِي نَهَارِ العِيد

كَمَا الفَتَاةُ لَيْلَةَ المَوْعِدِ الأَوَّل

كَمَا الأُمُّ فِي اِنْتِظَارِ جَنِينِهَا.

آهٍ يَا سَيِّدَتِي...

آهٍ لَوْ أَنَّكِ لَمْ تَقْتُلِيه

لَوْ أَنَّكِ –إِذْ يُحْتَضَرُ– لَمْ تَلْعَنِيه

لَوْ أَنَّكِ –فِي الجَحِيمِ– لَمْ تَرْجُمِيه

لَوْ أَنَّكِ... لَوْ أَنَّكِ...

لَكِنَّكِ...

لَمْ تَفْعَلِي... لَمْ تَفْعَلِي

فَعَزَائِي أَنَّ قَبْرَهُ يَسْبَحُ فِي دَمِي

وَعَزَاؤُهُ أَنَّ فِي قَبْرِهِ يَسْبَحُ دَمِي.

أَيُّهَا القَدَر ...

رِفْقًا بي..

فَأَنَا مُتْعَبٌ جِدًّا

النُّقْطَةُ الأَخِيرَةُ فَوْقَ السَّطْر

خُطَّهَا...

النُّقْطَةَ المُرَجَأةَ مِنْ السَّطْرِ الأَوَّل

تَتَدَحْرَجُ عَبْرَ الجُمَلِ المَقْطُوعَة

تَقْفِزُ هَاذِيةً فَوْقَ جِمَارِ الحَرْفِ

تَرْقُصُ عَارِيَةً ، تَتَلَوَّى

تَتَلَمَّسُ جَيْبَ بَيَاضٍ يَسْتُرُهَا

أَوْ سَقَطَ فَرَاغٍ يَحْوِيهَا

يَرْشُفُ قَطْرَ مَآقِيهَا

وَسَرَابٌ مِنْ أَقْصَى الصَّفْحَةِ يُغْوِيهَا

فَتَهِيمُ؛ سِهَامُ الحَيْرَةِ تَتْبَعُهَا ،

تَرْصُدُهَا ، وَتَرْمِيهَا

فَتُهَرْوِلُ حَدَّ الصَّفْحَةِ ، تَسْتَصْرِخ:

"خُطَّنِي".

خُطَّهَا...

مَا أَخَّرَك؟...

فِيمَ انْتِظَارُكَ وَالسُّطُورُ تَمَزَّقَتْ؟

وَمِدَادُ رُوحِكَ فَوْقَ كَفِّكَ يُنْزَفُ؟

هَاكَ أَلَمُكَ فِي الضُلُوعِ مُسَيْطِرُ

هَاكَ قَلَمُكَ فِي يَمِينِكَ يُكْسَرُ

هَاكَ رَأسُكَ بِالهَوَاجِسِ يَشْتَعِلْ

وَيْحَ الفِكَرْ

تَرْتَدُّ مِّنَ السَّدِيمِ إِلَى الجَحِيمِ إِلَى الغَرَقْ

وَجَعٌ مَرَقْ

فَأَصَابَ حُلْمَكَ وَالقَصِيدْ

لُمَّ الوَرَقْ

فَالحَرْفُ كَمَدًا فِي العُيُونِ قَدْ اخْتَنَقْ

وَالجُرْحُ يَصْرُخُ مِنْ بَعِيد:

"خُطَّهَا"

خُطَّهَا.



أَيَا هَذَا...

أَيُّهَا المُتَأبِّطُ مِحْرَاثَهُ الوَرَقي

لاَ أَرْضَ أَيْنَعَتِ الوُعُودُ بِحَوْضِهَا

لاَ حَجَرَ تَفَجَّرتِ العُيُونُ بِقَلْبِهِ

لاَ حُلْمَ أَنْبَتَهُ المَطَرْ

مَا تَنْتَظِرْ؟

الحُزْنُ يَأكُلُ أَخْضَرَك

وَالوَجْدُ قَدَرٌ مُقْتَدِرْ

مَا تَنْتَظِرْ؟

وَيْحَ الرَّجَا

مَا زَالَ يَصْدَحُ فِي الفُؤَادِ المُنْكَسِرْ

وَاللَّيْلُ وَيْلٌ وَالدقَائِقُ تُحْتَضَرْ

مَا تَنْتَظِرْ؟

لَمْلِمْ هشيمك وَاِسْتَدِرْ

أَوْ فَانْتَحِرْ.

أَيَا هَذَا...

أَيُّهَا المُؤَلَهُ فِي مَلَكُوتِ ذَاتِه

كُلُّ إِلَهٍ تُسْتَبَاحُ صَحَائِفُه

يُحْرِقُ مُصْحَفَه

يَهْدِمُ أَسْوارَ الفِرْدَوْسِ،

وَيَنْتَحِرُ.

كُلُّ إِلَهٍ تُفْلِتُ الشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ إِصْبَعَيْه، تُرَاوِغُه

يَأْفِلُ نَجْمُهُ

يَسْتَلُّ سُكُونَ اللَّيْلِ،

وَيَنْتَحِرُ.

كُلُّ إِلَهٍ تَكْفُرُ اللُغَاتُ بِاسْمِه

يَشْنُقُ الأَبْجَدِياتِ بِأَحْبَالِ الصَّمْتِ،

وَيَنْتَحِرُ.



شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ العربي، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على نشرها وإبرازها.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية في العديد من الدول.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.
- إعادة نشر التراث المعرفي العربي ذي الإفادة في عصرنا، وتحقيقه وتدقيقه.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890065

n


شمس
ش
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net